نيكوس كازنتزاكيس

عمل قصصي

الثعبان والزنبقة



نيكوس كازنتزاكيس

الثعبان والزنبقة

ترجمة : سهيل نجم

* الثعبان والزنبقة
* نيكوس كازنتزاكيس
* ترجمة: سهيل نجم
* الطبعة الأولى ١٩٩٣

* دار الكنوز الأدبية ـ بيروت

الثعبان والزنبقة

مقدمة

هذا هو العمل الأول للكاتب اليوناني نيكوس كازنتزاكيس، مع أول مقالة له «مرض العصر» التي طبعت متزامنة تقريباً مع «الثعبان والزنبقة» في ربيع عام ١٩٠٦ والتي نضمنها هنا كاضاءة للنص، وهي مهمة بشكل خاص لأنها المصدر المبكر الذي نتتبع منه تطور كازنتزاكيس كفنان ومفكر.

ظهر العمل لأول مرة في أثينا بالاسم المستعار «كارما نيرفامي» وهو الاسم الذي كان كازنتزاكيس قد استخدمه كثيراً في كتاباته الأولى.

وبالاحتفاظ بموضوعها المثير وحيوية الشباب لدى مؤلفها، تظهر «الثعبان والزنبقة» بغلاف أحمر التوهج يحمل الاهداء: «الى توتاي»، اسم التحبيب لـ «غالاتي الكسيو» التي فتن بها كازنتزاكيس والتي تزوجها بعد حين(*). وصفحة العنوان تحمل الملحوظة: «عمل قصصي».

خلال السنوات التي قضاها كازنتزاكيس طالباً في جامعة اثينا حيث درس

* تزوج كازنتزاكيس وغالاتي عام ١٩١١ وانفصلا عام ١٩٢٦ . الاشارات اللاحقة في هذا العمل لأرملة كازنتزاكيس هي لزوجته الثانية «هيلين ساميوس كازنتزاكيس».

القانون[١]، خلقت كتابة الشاب الكريتي ضجة في أوساط النخبة الأدبية في اثينا. وبعد مضي عام على العمل المتفرد «الثعبان والزنبقة» دخل كازنتزاكيس مسابقة أقامتها الجامعة بعمله الدرامي: «بزوغ النهار»، ونال مكافأة ملفتة للنظر. وبينما كانت الجامعة تمنحه اكليل الغار لأفضل عمل مسرحي، شجب الاستاذ رئيس لجنة فحص النصوص المضمون الفاضح والفاحش في العمل المسرحي. فقد أعلن في حفل تقديم الجائزة: «نحن نمنح الشاعر تاج الغار، لكننا نطرده عن هذه الحدود المقدسة». ويصف كازنتزاكيس هذه الحادثة في «تقرير الى غريكو»: «كنت في فناء الجامعة الكبير طالباً قليل التجربة غير ملتح. تورد وجهي خجلا حتى أذني فنهضت، وتركت تاج الغار على طاولة هيئة التحكيم وخرجت»[٢].

وحين علم الصحفي الأثيني فلاسيوس كافريليدز بحادثة الجامعة طرح مسألة كازنتزاكيس في صحيفته أكروبوليس وكتب: («بزوغ النهار» هي ثيريسو[٣] Theriso أدبي مثلما كان قبل ذلك بعـام العمل المعنون الثعبان والزنبقة المصبوغ كله بالأحمر، بصفحات منثورة مليئة بالقوة والرياح الجنوبية... انه يدخل عالمنا الأدبي حاملا شياطين جديدة: الفطنة والجمال واللغة... انه الكاتب الجديد، كاتب النار وكاتب الحياة).

كان ظهور كازنتزاكيس، ككاتب جديد، قد منح تصديقاً آخر من قبل النقاد مثل د.كالوجير بولوس، الصحفي اللامع ورئيس تحرير مجلة (Pinakothiki)، والشاعر اليوناني الشهير والمعاصر «كوستس بالاماس» الذي وصف بنقده في الصحيفة المرموقة في ذلك الوقت (Pauathenea)، «الثعبان والزنبقة» بـ : «أول ثمار فنان شاب... تنضح دماً خلاقاً وحمى الهذيان في حلم المبدع... قصيدة شابة ومؤلمة، جميلة وكئيبة، أخلاقية و لاأخلاقية . وتنبأ أن كازنتزاكيس باستمراره في تقلد مرتبة الفن سيخلق في وقت ما الاعمال الجميلة والصحية التي تسمو بالروح وتنقيها».

في الوقت الذي كان كازنتزاكيس يكتب «الثعبان والزنبقة» كانت روحه

بعيدة كل البعد عن الصحة والطمأنينة. واذ كان قد عاد لتوه الى كريت لقضاء الصيف الأخير من سنواته الدراسية كان معذباً بقسوة بعد ان ذاق طعم تجربة عشق مبكر مع الفتاة الشابة التي كان يدعوها بـ «الصبية الايرلندية» في «تقرير الى غريكو». لقد اعطته تلك المرأة الشابة دروساً في الانكليزية، هكذا يخبرنا، خلال ايام دراسته في المدرسة الثانوية الالمانية في كريت، واول تذوقه للحب، الذي حققه على نحو تجديفي في كنيسة صغيرة على قمة بسيوريتيسى(٤) في أمسية مغادرته لكريت كي يبدأ دراسته في أثينا. بعد ثلاث سنوات ظل يتعذب من الندم والوهم. فقد أغلق أمامه باب المرأة الشابة. لقد عاملها بعد تجربتهما على بسيلو ريتيس والآن هو ممتليء بالأسى لما فعله ومافشل في فعله، طاف في شوارع كريت، نادما مبعدا، عائداً مرة أخرى الى منزل الفتاة «لكأنه ارتكب جريمة وعاد ليلتف حول ضحيته». لكم كان ممضاً أساه حتى انه مرض بالحمى. في صباح ما، ودون أي هدف واضح في فكره أو معرفته لما يفعله، التقط قلمه وبدأ يكتب. وهنا مقطع من «تقريرالى غريكو» عن الكيفية التي ظهرت بها الثعبان والزنبقة :

«... ربما لو تجسد الأسى، لو منحته الكلمات جسداً، لرأيت وجهه، وان رأيته فلن أخشاه.

..لذلك بدأت تقليب الكلمات، كي أتقيأ القصائد، أساطير القديسين، والروايات التي قرأتها... ولكن الكلمات الأولى التي وضعتها على الورقة ادهشتني. لم يخطر ذلك ببالي. كرهت ان اكتب شيئاً كهذا، لماذا اذاً كتبته؟ لكأنني لم أتحرر أبداً من أول حب لي (ورغم أنني كنت متيقناً أنني تحررت)، بدأت أبلور حكاية حول الصبية الايرلندية، حكاية مليئة بالانفعال وأوهام الخيال. اذ لم اتحدث معها بمثل هذه الكلمات الرقيقة، ولم أشعر بمثل هذه النشوة التي أدعيها على الورقة بمثلي وأنا المسها حقاً. كذب، كل ذلك كذب، ورغم ذلك وأنا أسرد هذه الأكاذيب الآن على ورقة أمامي، بدأت أفهم مندهشاً أنني قد ذقت بالتأكيد متعة عظيمة فيها. هل كانت حقائق، كل هذه

أكاذيب؟... من المحتم أن ثمة شك أكثر تأكيداً من الثقة ذاتها. لكن آحد الأكاذيب سيجد قصة كاملة أرفع من المستوى الارضي للبناء الانساني الذي يعرف باسم الحقيقة.

أنهيتها خلال بضعة أيام. جمعت المسودة، وكتبت عليها الثعبان والزنبقة كعنوان لها بحروف بيزنطية حمراء ونهضت متجهاً نحو النافذة لأتنفس بعمق. لم تعد الفتاة الايرلندية تعذبني الآن لقد تركتني كي ترقد على الورق ولن تستطيع تحرير نفسها منه ابداً. كنت قد نجوت!.. لم أعد للتفكير بها أبداً، الا اذا جددتها او سبكتها بكلمات... بوسيلة الخيال محوت الواقع، وشعرت بالراحة.

هذا الصراع بين الواقع والخيال، بين الله ـ الخالق والانسان ـ الخالق، قد أثمل قلبي. لقد أسرتني، رغم انها تعني تدميري، كي اتصارع مع الرب. أخذ الله الطين كي يخلق العالم وأخذت أنا الكلمات. صنع هو الناس كما نراهم، يزحفون على الأرض وأبا بالهواء والخيال، سألبس أناساً آخرين بروح أخرى، أناساً قادرين على مقاومة عوادي الزمن. وبينما يموت أناس الله، سيعيش أناسي!

الآن أشعر بالعار حين اتذكر هذه الغطرسة الشيطانية، لكنني كنت شاباً حينها، وأن تكون شابا يعني ان تدفق وأن تمحي العالم ولك الغرور بأن ترغب في انشاء عالم أجمل جديد مكانه».

ان تقييم كازنتزاكيس لعمله الأول بعد سنين غير واضحة لدينا. فنحن نعرف انه اسقطه، مع كل أعماله المبكرة، حين جمع(أعماله الكاملة) الأخيرة التي بدأ بطبعها في سلسلة خاصة في السنوات الأخيرة من حياته. ونحن نعرف انه في الوصف الحي للخمسين عاماً الأخيرة في تقرير الى غريكو لم ينسه. ففي الجزء الأخير من مجرى حياته ابان نجاحه الملحوظ وسط الأربعينات، قبل عقد من وفاته، ضمنها في قائمتين مهمتين. مرة في "مجموعة اعمال" التى قدمتها الى أكاديمي أثينا حين عين في منصب في الأكاديمية العليا ومرة أخرى بعد سنة في «مجموعة أعمال للتاريخ» في عام ١٩٤٦ التي جمعها وقدمها الى لجنة جائزة

نوبل حين رشح للجائزة. وهو العمل الوحيد المبكر الذي افرده ذاكراً اياه بخصوصية في الجزء الأخير من سيرته الذاتية "تقريرالى غريكو" كأنما ليميز في حقوق خاصة عمل الولادة الأول. وبالتأكيد أن الوعي اللغوي الكازنتزاكيسي الذي ينتج أو يسخر لعمل ما، في بعض الأحيان ينجزه في عدة مسودات من أجل ضبط اللغة، لابد وأن يكون قد تصدع في بعض العبارات التي تحوي خللا في هذا العمل الأول. في فترة التفتح الأولى لموهبته كان يلزم نفسه بالكتابة بـ «الكاثريفوزا» Katharevousa[٥] ، اللغة النقية للنخبة المتعلمة. وبالرغم من انه جرب الكتابة باسلوب العامة المتحول المحدث[٦] في الثعبان والزنبقة ، فهو مايزال يحتفظ بكثير من الصيغ النقية التي هي ليست من خصائص أعماله الأخيرة. هذا المزج اللغوي الكاثاريفوزي الأنيق المتجذر شعبياً، على الرغم من ذلك، يناسب نغمة العمل المبكر الذي يجمع بين قلق عالم متفسخ وخصب عالم وثني. ومن المفيد ان نذكر هنا ان «جيمس جويس» أحد كتاب القرن العشرين ومؤلف «يوليسيس» والذي يقارن به كازنتزاكيس دائماً، يستخدم ذات الأسلوب القديم في رسائله الى زوجته نورا.

بالرغم من التأثير الأوروبي في انعطافة القرن المفسدة[٧]، ذلك السأم المشمئز الذي رفضه كازنتزاكيس بعد ان نضج، فان سطوع عبقريته غير العادية قد كشف بجلاء عن نفسه في هذا العمل الأول. ولكن بينما يكون العمل ممتعاً على حقيقته فان ذلك ليس سوى فترة زمنية وحجر صغير ضمن الصرح الأكبر الذي استحقته «الثعبان والزنبقة». انها مصدر قيم في تتبع تطور المؤلف من أولى خطواته الناضجة ويجب أن تقرأ بمعية مقالته في ذات الفترة «مرض العصر» التي تزامن طبعها مع"الثعبان والزنبقة" في أثينا عام ١٩٠٦ وتحدد "مرض العصر" الخطوط العامة للنظرية التاريخية الثابتة في كتابات كازنتزاكيس وبالاخص تحدد الحبكة الأساسية في «الثعبان والزنبقة». ان المسح الفكري للعالم في هذا العمل المبكر يعطي في الحقيقة انطباعاً أهم حين يؤخذ بالاعتبار شباب المؤلف. وفي الأساس تتعلق المقالة بمأزق الانسان الذي يبدأ «بالبساطة والمتعة في القديم، من خلال الحب المخلص ثم النشوة والايمان في العصور الوسطى، والهبوط في

الفحش الفكري في العصر الحديث»[٨].

في مقالة عنوانها «نيكوس كازنتزاكيس» يقدم البروفسور «بيتر بين» تحليلا مفصلا ورائعا لهذا الفهم للتاريخ عند كازنتزاكيس الذي بدأ بنظرية في التاريخ وتوسع الى نظرية لما وراء التاريخ. ان الحجر الأساس لهذا التفكير التاريخي عند كازنتزاكيس يسميه البروفسور «بين» : مبدأ العصر المتحول . ويقر هذا المبدأ ان الانسان الحديث قد توقف في منتصف فترة التحول ولا يستطيع ان يستجيب الى جمال هذا العالم بنفس المتعة العفوية البسيطة لأسلافه الوثنيين منذ ان سممت المسيحية تقييمه للعالم المادي (الحسي) ولا يستطيع ان يلقى ضالته في الدين، منذ ان دمر العلم ايمانه بوجود عالم روحي[٩].

محاولة كازنتزاكيس لفلسفة هذا المفهوم جماليا تظهر مظللة في «الثعبان والزنبقة» حيث تتجسد لنا دراميا في قصة بطل شاب، فنان وخالق أشكال. نرى تطور مفهومه التاريخي في ثلاث مراحل توازي وتطابق فترات الانسان كما حددت في «مرض العصر». توضح المرحلة الأولى البطل في مقابلته الأولى لحبيبته «غالاتي» التي يخبرنا انها تأتي اليه في أحد الأيام بينما كان جالساً على مصطبة في منتزه. «عشقتها، عشقتني ـ البداية التكرار، الأغنية المتناسقة».

في البداية الموجزة المتفائلة للقصة يبين كازنتزاكيس كيف ان العاشقين الشابين يعكسان بساطة الاستجابة للطبيعة التي هي ميزة العالم القديم، عالم يحن اليه في المقالة. انه يصور البطل في حقيقة أمره وهو ينتظر مجيء الحب، ويصف المواجهة مع الكلمات التي تشير الى القوة وقانون دوران الفصول. «كنت انتظرك مثل الأرض الجامدة في وحشة الشتاء... أنت الربيع وأنا الأرض، الأم العظيمة الشهوة التي تفتح حقويها وتنتظر». في تكثيف شعري يستفيد من «نشيد الانشاد» في الكتاب المقدس، توحي مقولات العاشق العاطفية ببساطة الاسابيع الاربعة وصدق العالم القديم، اذ الحب لم يزل غريزة ـ ساذج وبري وصريح[١٠].

ولكن حتى في هذه المرحلة المبكرة من البراءة ثمة ايحاء لنذير في الأحاسيس

يصفه العاشق. شفاه الحبيب الرحيق الذي يفوح وسم القبل العظيمة . انها «جميلة مثل الخطيئة وجميلة مثل الموت»[11]. وعلى أية حال ينبؤنا البطل منذ البداية بما يصفه كازنتزاكيس في مقالته «مرض العصر» بالقدر القاسي الذي تنوء به روح الانسان، الروح التي لم تلعب خلال التاريخ سوى مأساة سوفوكليس، «أوديب الطاغية»: فأوديب لايعرف شيئاً. انه محظوظ. ولكن في الوقت الذي يريد ان يعرف من هو ويبدأ في التساؤل ويتذر، لايتوقف. والروح في فصل الشك الثاني يسبر عميقاً غور الحقيقة، وفي الفصل الثالث يرى الضوء ويعمى. ليس هناك فرح ولا متعة أبدا. الضوء الساطع يعمي أرواحنا.

في المرحلة المتوازية الثانية لـ «الثعبان والزنبقة» يظهر الكاتب البطل متخما بمتع حبيبته، ويتوق الى شيء أكبر. لا غموض فيها لا يعرفه، سوى شيء واحد. «لقد سبر غورها تماماً بمجهر روحه الفاسقة»، الروح التي تؤمن انها اتت من عوالم افضل. «حتى جسدي يخضع تماما وان ارتعش بأكمله تحت مداعباتك هكذا يخبرها حتى وان تعمد جسدي» بأكمله في عرق الشهوة والعاطفة، فسيجف جبيني، بعيداً عن احتفائية جسدي . البراءة الممتعة، والصوفية الحسية للمرحلة الأولى الموجزة تفسح المجال للصوفية الروحانية للمرحلة الثانية، حيث يصف البطل، في الرمزية المسيحية، الروحية النقية التي تعزيه الآن. الحبيبة غالاتي التي ملكت عرش روحه مرة قد حل محلها المذبح المقدس «الذي يشع في عمقه ويلهب كل الاشواق في جسده نحو الرب المقدس العظيم». لكنه يجد المذبح خالياً أيضاً ويبدأ بالنذير بالفهم، ومثل آدم، الملك المبعد «يتذكر بلداً آخر ويبكي البكاء المر اليائس من أجل اليتامى والمبعدين».

في المرحلة الأخيرة من المسرحية يبدو البطل في نصف ابتهاج ونصف أسى، خاضعاً للقوة الكونية التي تسحبه نحو الغموض والتناسق للصمت العظيم. في هذا الفصل يعي البطل نفسه بغموض ويرغب المساهمة في الموت، ويظهر كازنتزاكيس بحدس ما الذي فلسفه بعد حين في أساس كوني اعتمادا على النظرية البرجسونية أن كل الحياة، كل الكواكب، هي أساساً في تغير من فراغ

لفراغ، وأن الموت هو الشيء الذي يتحرك نحوالكون بأكمله.

في بناء شكل نظرته لهذا العالم في «منقذو الرب»[١٢] يصف كازنتزاكيس الكون بأنه في تطور دائم نحو الوعي الذاتي، فمن المادة الى الصخور الى النباتات ثم الحيوانات وبعدها الانسان، ومن الاحساس ثم الغريزة ثم الوعي ـ الذاتي، يجاهد الكون بثبات نحو الافضل، ويصارع ليتخلص من ثقل المادة الجامدة، حارقاً ذاته بنزعته التطورية نحوالتنوير ـ الذاتي ـ الحرية المطلقة. ويقول، الانسان ايضاً في دافعه نحو الوعي الذاتي، يجب أن يقلد الايقاع الكوني في نضاله كي يقاتل الجمود، يجب ان يدخل ببطولة في تعاون مع الكون المحكوم بقوة كلاهما يريد خلقها ولا خلقها. نحن جئنا من هاوية مظلمة وننتهي الى هاوية مظلمة، ونسمي فترة الضياء بالحياة[١٣].

يقول كازنتزاكيس على نفس المنوال: «الحياة ذاتها، هي شيء نحسه دون بداية، قوة كونية لا تقهر. » في عقيدته التعريفية، تجارب روحية، يصفها بأنها القدرة السابقة الوجود، الجوهر الاساسي أو اندفاع الحيوية في الكون الذي هو واحد يشبه الرب. هذا الرب، أو قوة الحياة هكذا يؤمن، يتمنى البقاء حياً عبر توحيد النقيضين اللذين يكونانه وهما المادة والروح، في سير عملية الخلق ليتصادم هذان التياران. الأول المني الذكري للكون يندفع عالياً نحوالنشوة والحياة، والأبدية والآخر العنصر الأنثوي يندفع للأسفل نحو التحلل، المادة، الموت. الكسل، الجمود، التفسخ، رموز الانثى لمجرى العملية الكونية المتولدة، تعيق اندفاع المحفز الخلاق الذكري، بالضرورة لذاتها عالياً. لذا قوة الحياة التي تتمنى لنفسها الحياة من خلال التوحد على تحقيقها تتمنى لا خلقها في آن واحد ـ الخطو للامام والتراجع في آن واحد [١٤].

ينظر كازنتزاكيس للعالم كنطاق ايروسي هائل، أو كميدان تتصارع فيه أبداً عاصفتان من الريح متناقضتان عنيفتان، احداهما ذكرية والأخرى انثوية عند مفترق الطرق «حيث في اول وهلة يتوازنان ويغدوان سميكين ثم يتوضحان للرؤية». انه يرى الرب والمادة كزوج وزوجة الزوجين الأصيلين اللذين يلتفان في

فراش الزوجية الجسدي يبذران فيملآن البحر واليابسة والهواء بالنباتات والحيوانات والبشر والأرواح. «يتعرض الرب للخطر في النشوة العذبة وقسوة الجسد»، هكذا يقول في «تجارب روحية» لكنه يهز روحه حراً، يقفز بعيداً عن الأذهان والحقو، ثم يرتبط بأذهان جديدة وحقو جديدة حتى يتفجر الصراع ثانية من أجل الحرية من البداية . ان من واجب الانسان الرفيع ان يساعد الرب في هذا الصراع كي يحيل الجسد في الروح ويحرق نفسه في خدمة الحياة المتقدمة نحو الأفضل باتجاه النهاية التطورية.

احالة الجسد في الروح التي بدأها البطل في الثعبان والزنبقة ولم يفهمها بوعي هي ـ على المستوى الحدسي ـ مقدمة بما هو أساسي في كل أعمال كازنتزاكيس. احساسه الغامض بالخطر، صراعه ضد قبضة الأنثى المحكمة التي تسحبه نحو الأشياء الدنيوية، بطريقة ضبابية ينذر «الله في خطر»، الموضوع الذي يفرض في «تجارب روحية» واجباً على الناس كي يكونوا «منقذين للرب» واضح في «الثعبان والزنبقة». والواضح هنا هو بداية الصراع لتحرير الروح من الجسد، بداية الصراع الذي شغل تفكير كازنتزاكيس طوال حياته.

ومن المعروف ان اعمال كازنتزاكيس تتميز بمحاولته في التوليف بين الفلسفة والفن. ووعيه للحدود لمثل هذا التوليف قد سجل في مرحلة مبكرة من حياته في محادثة بينه وبين صديقه مانوليس جيوجياديس[١٥]: «ليس هدفي الفن لذاته، ولكن ان ابحث واعبر باحساس بالحياة(تذكر نيتشة وتولستوي). ولكي أصل الى هذا الهدف ثمة ثلاثة سبل: (١)طريق المسيح، لكن ذلك متعذر بلوغه (٢)طريق القديس بول الذي جمع الفن (رسائله الانجيلية) مع الفعل، لكن تظل الحاجة الى المسيح (٣)طريق الفن أو الفلسفة (تولستوي أو نيتشة). وأنا أتتبع الثالث، لذا كل ما أكتبه لن يكتمل لو نظر اليه من وجهة نظر الفن. ذلك لأنني أزعم تخطي حدود الفن»[١٦].

تفصل أرملة الكاتب بين أربعة مراحل مرت بها أعمال كازنتزاكيس. الاولى بين عامي ١٩٠٦ ـ ١٩١٨ وتصفها بفترة تلمس الطريق التي جرب فيها

أفكاره الفلسفية التطورية في المسرحيات والمقالات. ومن بين كتاباته المطبوعة في تلك الفترة مسرحية كان عنوانها «ملهاة» عام ١٩٠٩ ، التي تتطرق في موضوعها لمعاناة أحد عشر انسانا ميتاً في غرفة لا مخرج منها ويعد هذا العمل هو الرائد المدهش لعمل سارتر «لا خروج» التي كتبت بعدها بخمس وثلاثين سنة.

في بداية الفترة الثانية ١٩١٨ ـ ١٩٢٤ ، وهو يتتبع السنين العصيبة للحرب العالمية الأولى، يظل كازنتزاكيس في طور تكوين نظرته للعالم. ويصف ذلك في عمل فلسفي قصير كان قد كتبه في ذلك الوقت وعنوانه «الندوة»[١٧] الذي وجد طريقه بسهولة الى خزانة ابيه ولم يطبع حتى بعد مضي وقت طويل على وفاة الكاتب، حين عثر عليه ابن أخيه نيكوس ساكامباينس وأخرجه للنور بعد أربعة عشر عاما من الوفاة.

بحلول عام١٩٢٤ تبلورت أفكاره وراح يكون نظرته للعالم في عمل فلسفي متميز عنوانه «تجارب روحية». وبتكوين عقيدته النظرية، بدأ كازنتزاكيس مرة أخرى بالتفكير في تكوين أساس جمالي لأفكاره. وتكشف ملاحظاته شيئاً فشيئاً أنه كان على وشك الاعتقاد أن النظريات زائلة ولا تقاوم الزمن سوى الأعمال الفنية.

في الفترة الثالثة ١٩٢٤ ـ ١٩٤٢ تجده يحول أفكاره في توق لتأخذ شكلا شعريا بأفكار مطورة. لكنه مرة أخرى يواجه استحالة التعبير الكامل لما هو غير قابل للتعبير. فيكتب ممهدا لكتابه «رحيل»[١٨]: «يتصارع الخالق مع جوهر صلب لا مرئي أرقى منه بكثير ويظهر المنتصر الأعظم مدحوراً لأن سرنا الدفين ـ الذي وحده يستحق القول يظل دائماً غير مباح. لا يمكن ابداً اخضاع نفسه الى الحدود المادية للفن.. نحن نرى شجرة مزهرة، امرأة، نجمة الفجر، ونصرخ "آه" وتظل قلوبنا تخفق. انها هذه الـ "آه" هي التي جعلت كازنتزاكيس ييأس من اي اهتداء لتحويلها الى افكار وفن دون جعلها مجرد كلمات مزخرفة بالنحاس مليئة بالهواء الفارغ والخيال . رغم ذاك فهو لا يرى خلاصاً لأفكاره.

اذ ليس لديه في قوته، كما يوضح، سوى أربعة وعشرين جندياً صغيراً من الرصاص يقهر الموت بهم»[١٩].

الموت هو الخصم الكبير في حياة كازنتزاكيس وعمله، هو البطل المرعب الذي يشحذ ويسن عليه قواه كي يجعل معركته حامية. ليس لدى كازنتزاكيس وهم حول الحتمية التي لاتقهر لعداء الحياة. لكن قيمة الانسان كما يعتقد، لا تقع في الانتصار، بل في الصراع، في كيفية ان يعيش أو يموت في شجاعة، دون التنازل لقاء أن يقبل مكافأة وفي شيء أكثر تعظيماً ـ في كيف يصارع ببسالة ووعي كامل أن لا مكافأة له خارج نفسه كي تصبغه بالفرح، أو الفخر والبسالة في نضاله.

خلال هذه الفترة من فوضى العالم، كان كازنتزاكيس يعيش في المانيا، المانيا المندحرة الفوضوية. كل أوروبا كانت في جيشان واضطراب اثر الحرب المدمرة وتسير بجنون نحو صراع كوني أكبر. وعانت بلاده من كارثة مدمرة في آسيا الصغرى. ورغم ان كازنتزاكيس كان قد بدأ بتسلق حدود الوطنية، فان اندحار الأغريق عشية مرحلة متأخرة من الامل في نجاة ابناء جنسه الشهداء، قد اثر في روحه كثيرا. وكي يهدىء روحه وينعش ذهنه وجسده عاد الى كريت ليجد العزاء في الشمس الساطعة في الجبال، وليتغذى من تربة مسقط رأسه وتراثها[٢٠]. وفي أحد الأيام وهو يتجول في آثار كنوسوز اجتذبت انتباهه رسومات جبسية لمصارعة ثيران على جدران قصر. كان يبدو وكأنه يراها لأول مرة. الشباب الرائعون الرشيقون والفتيات يجابهون الثور المتوحش بشجاعة ورباطة جأش، ويعرضون قواهم المقاسة ببرود بقوة الثور الشديد مثل لعبة مدهشة، بمهارة وألق، وبنظرة فخورة وجريئة. شعر بالانجذاب المفاجيء الى أولئك الأسلاف البعيدين الذين أحالوا الرعب الى لعبة مستفزين فضيلتهم ضد القدرة الكلية الخالية الذهن. لم يقتل الكريتيون ثورهم مثلما قتلت الحضارات الأخرى مسوخها. لم ينظروا نحوها بخوف او اعتبروها عدواً، بل كبطل مرعب عليه يشحذون أجسادهم وأرواحهم كي يجعلونها قوية وجريئة.

كان ذلك هو الرمز الذي يبحث عنه كازنتزاكيس. منذالآن سيرى الموت من هذا الموقف الجريء، سيملأ عيون أوديسيوسه بمثل هذه النظرة الكريتية(٢١).

وحالما «اكتشف أين يقف، وكيف يلقي بنظره» تحولت أنظار كازنتزاكيس نحو مرحلة جديدة في الخلق يستحضر أوديسيوس الذي ينضج في فكره. بين مراحل السفر التي لا بد منها لاخصاب روحه وجسده، قد أعد نفسه لفترات طويلة من العزلة القاسية من أجل حرية كاملة كان يحتاجها كي يبدع «أوديسته»(٢٢). ان انقطاع الاتصال البشري الذي تنطوي عليه الحرية المطلقة لم يكن جديداً عليه. كان لا نظير له بين ابناء جلدته، وكان في كل حياته يعاني عزلة رجل وحيد في أرضه. كانت العزلة عنصراً طبيعيا بالنسبة له وشيئاً كان دائم البحث عنه، لكن رسائله خلال بعض هذه الفترات من التنسك تكشف عن لحظات من العزلة التي لا توصف ـ وحيد مع الوحدة. يلاحظ كاتب سيرته بانديليس بريفيلاكيس قطعة من «الأوديسة» التي بدأ كازنتزاكيس في كتابتها بعد فترة ضئيلة من مقابلته للشاب بريفيلاكيس: «يباب في يباب مقرف، حتى ظل دودة يمسي شيئاً رائعاً»(٢٣).

ان الكثير قد نهل من زهد كازنتزاكيس. يرسم بريفيلاكيس في «دراسة عن الشاعر والقصيدة» صورة لكازنتزاكيس في وضع يشبه ذاك الذي للنبي أليجا Elijal، عند بركة كيريث حيث انتظر النبي من الغراب ان يجلب له خبزه اليومي. انه يرسم رجلا مأخوذا بالآفاق فقط، رجلا لا يفكر في تزيين صومعته، ولا حتى في زراعة قطعة الأرض خارج منزله. لأن لمثل هذا الرجل، هكذا يكتب، لا يمكن للنكران التزهدي للذات الا ان يتضمن المرأة أيضاً. وفي حقيقة الأمر، أن كازنتزاكيس جاهد بثبات لأن يقهر الابتذال والابتعاد عن الوقوع في شرك متع الحياة اليومية. ومثل انبياء العهد القديم كان ينظر للنساء كملاه تصرف تفكير الرجل عن متعة اسمى. وهو هنا يشترك مع توماس مان، أحد أهم معاصريه الذي هزأ من «البهجة الأليفة» ومن متع الألفة العادية التي تمزق الرسالة الخلاقة للانسان الأعلى. ولكن رغم ان كازنتزاكيس كان قد قاوم هذا

الاغراء طوال حياته، متنكراً للجانب الحسي لطبيعته برحلات دورية الى الدير أو الاعتزال في الجبل مستوحداً، فهو يكبت ابداً غريزته الجنسية[٢٤]. وبالتأكيد يكشف كتاب ملاحظاته انه رجل ينجذب الى النساء وذو جاذبية بالنسبة لهن، رجل لا رغبة لديه ان يبعد نفسه تماماً عن شرك الجمال الانثوي والرقة البشرية. نحن بحاجة فقط لأن نقرأ اعترافه الى «جده» بالتبني في «تقرير الى غريكو» ونلاحظ بدقة التقدير الشديد (المتخيل شعريا ولكنه يتضح رغم ذاك) لزوجته ورفيقة حياته لثلاث وثلاثين سنة، لتقيم الحب العميق والثناء الذي يشعر به ازاء النساء في حياته[٢٥].

وبينما كان كازنتزاكيس معتنقاً الزهد في أغلب فترات حياته، فهو لم يكن بعيداً عن المتع والترف بالمعنى الارستقراطي. فخلال زيارة له الى انكلترا في تموز ١٩٣٩ يصف بتقدير واضح ملاك الأراضي الانكليز في قلاع ريفهم القديمة، في رسالة لبريفيلاكيس: «كان حرياً بنا ان نولد هنا، ملاكين اغنياء هادئين منعزلين كمثل اللوردات الذين قابلتهم والذين يقطنون في مقاطعات الريف الانكليزي البعيدة، في داخل قلاع قديمة مريحة، مزينة بلوحات أسلافهم... وحين أموت، سيكتب كاتب سيرتي... انني كنت ذا طبيعة متزهدة، رجل اينع على حياة الحرمان، ولن يعرف أحد انني ان انتهيت كـ "زاهد" فذلك فقط لأنني أفضل العري على البزة البرجوازية الرخيصة المخزية»[٢٦].

يقترح بريفيلاكيس في محاولة لتحليل كازنتزاكيس في كتابه الشاعر والقصيدة أن تخطي الغريزة الجنسية هو الموضوع في فن كازنتزاكيس الأكثر مناسبة للنهل، أو هو في الواقع خداع للتحليل النفسي. الرجل يقتل المرأة - بالمعنى الحرفي والاستعاري، لكي يؤهل نفسه تماما لسيطرته . ويصف بريفيلاكيس هذا المفهوم في «الثعبان والزنبقة» حين يقوم البطل و«يبدأ المجزرة» باجبار حبيبته على ان تنتحر معه، بعد ان اصيب بالجنون لعدم قدرة روحيهما لأن تتطارحا العواطف بصورة حميمية. وموضوع مشابه ممكن ايجاده في

كتابات «دانونزايو» الذي اثر كثيراً في كازنتزاكيس كثيراً حين كان شاباً، وبالاخص في كتابه «انتصار الموت» حيث يفشل فيها البطل «جيورجيو أوريسبا» أن ينفذ الى لاوعي حبيبته. ويلاحظ بريفيلاكيس أن الموضوع يستمر دون استثناء في أعمال كازنتزاكيس، ومنها على سبيل المثال في المنشىء الاعظم، اذ تدفن البطلة حية في أساس الجسر، تسيمسكيس يبعث ثيوفانو الى دير راهبات[٢٧]،يتجاهل المسيح سحر مادلين[٢٨]، يتنكر أوديسيوس لبنلوب وهيلين[٢٩].

ويستمر بريفيلاكيس في تحليله الى أن تضحية المرأة لها دورها في شيء آخر مميز في أدب كازنتزاكيس ـ هو تدمير العالم الحسي للشاعر.ويبدو انه يصيب متعة صعبة في فعل الهي، هو خلق ومحو العالم. في هذا الفعل المتكرر للخلق والمحو، يتساءل بريفيلاكيس، أكان لكازنتزاكيس ان يعبر عن التخلي الزهدي؟ أكان لهذه ان تفسر كـ «رغبة جامحة للمشاركة، تغيرت الى عدمية منتقمة؟» ومهما يكن التفسير، فان هذا الموضوع كان مألوفا في أعمال كازنتزاكيس وربما كان موضحاً على نحو أفضل لا في معان عدمية ولكن في عالم الفكر النيتشوي الذي تأثر به كازنتزاكيس في شبابه، عالم فكري يفرض واجباً على الانسان ليدمر الآلهة القديمة ويخلق أخرى جديدة.

ليس ثمة من مكان للخلق والمحو مرة واحدة، والاتجاه الثاني للزهد والحسية في فن كازنتزاكيس هو أكثر وضوحاً في قصيدته الملحمية الأوديسة التي كتبها في هذه الفترة الثالثة. ومن الضروري الاشارة الى ان لكل فعل متزهد جنسياً، يرينا فيه كازنتزاكيس ان الرجل يتخلى عن المرأة، ثمة فعلا مساويا وربما أقوى لايجابية جنسية. فبينما يكون صحيحاً ان اوديسيوس يتنكر لبنلوب وهيلين (كلاهما حب قديم) نراه يستمر في اجتذاب وامتاع نساء اخريات بكل الاشباع الشهواني الساحرالذي تتطلبه شهوته الحسية الهائلة. ويحتاج الفرد لأن يشير الى وصف كازنتزاكيس في الكتاب الثالث من «الاوديسة» ليرى بأية غنائية وبهجة يؤكد على الحياة حين يصف أوديسيوس في مشهد امتلاكه فتاة

سوداء الشعر متلهفة مرحبة بعناقاته الشهوانية، باعتباره الهاً جاء اليها كتيار مائي. هذان الاتجاهان المتزاوجان للتزهد والحسية الذي يجري في كل أعمال كازنتزاكيس هما اشارة للرؤية المزدوجة التي ينظر بها الى العالم ويفصح جزئياً عن التفرد الظاهر في فكره وفنه.

في سياق كلامه في كتابه(ouevre) يعتبر كازنتزاكيس «الاوديسة» التي كتبت في منتصف مسيرته الحياتية أهم أعماله، وهي ما يريد ان يتذكره الناس من خلالها، كان يؤمن انه قد ابدع نموذجاً كبيراً في «أوديسيوس»، المثال الذي يتحتم على انسان المستقبل ان يحذو حذوه. وكما يلاحظ و.ب. ستانفورد في «ثيمة يوليسيس»[٣١] فان «أوديسيوس» كازنتزاكيس بطل متكامل فهو متسكع وسياسي، مدمر ومحافظ، شهواني وزاهد، جندي وفيلسوف، ذرائعي وصوفي، مشرع وساخر. يؤكد كازنتزاكيس انه في صياغة بطله، كان أيضاً يصوغ نفسه، صابغاً أوديسيوس بكل الفضائل التي كان هو نفسه قد كافح من اجلها لكنه لم يستطع تحقيقها. وكما هو في حياته فقد غرس في أوديسيوس الرغبة الملحة للحرية والتوق الى دفع الثمن الذي تحتاجه هذه الحرية المطلقة: العزلة عن الرفاق. وكي يرمز الى ذلك يبعث كازنتزاكيس بطله الى خراب القطب المتجمد في نهاية «الأوديسة» ليموت ولكن على النقيض من البطل البدائي في «الثعبان والزنبقة» الذي ينطلق أيضاً ليواجه الموت، يصعد أوديسيوس في بصيرة غامضة تتوق الى الحرية، بجرأة ووعي تام الى قفر القطب الجنوبي، دون أي شيء من التشاؤمية السوداء التي كانت تسود في الحكاية المبكرة،. وعلى العكس من البطل الأول، يقدم بطله الأوديسي على مراحل نحو النضوج التام. وعند نهاية حياته يفهم أوديسيوس ثمن الحرية ويتقبله بعشق بهيج. ان الغطرسة التي يعزوها كازنتزاكيس الى محاولته عندما كان شاباً، من المؤكد انها قد تشذبت بعد ان نضج، كما يؤكد ذلك[٣٢]، لكن الاحساس بالواجب المسيحي الذي أحوجه للمساعدة في دفع عملية التطور الانساني الى الامام بقي محفزاً ثابتاً في فنه خلال حياته.

ومع اكتمال «الأوديسة» في خضم تفجر طاقة ابداعية أنتجت عدداً كبيراً من أعمال غير عادية، منها «حياة وأوقات الكسيس زوربا»[٣٣]، دخل كازنتزاكيس مرحلته الرابعة والأخيرة(١٩٤٢ - ١٩٥٧)، مرحلة الروايات الكبيرة.

ومع الروايات الأخيرة، أضحت حياة كازنتزاكيس دائرة كاملة. فازاء خلفية عالم في حرب، وبعد ذلك صراع قتل الأخ في اليونان حين كان وجود وطنه مهدداً، حول كازنتزاكيس نظره الى الداخل ، نحوالذكريات المبكرة لكريت في طفولته. اذ لم تتوقف كريت عن التأثير في حياته وفكره. لقد علمته أين يقف وكيف يلقي بنظره. وفي حقيقة الأمر فقد تفتحت بوابات الطوفان لمرحلته الأخيرة بـ «زوربا». أول الروايات الأخيرة ليبتعد في الأسلوب عن الشخصية الفلسفية الصارمة التي أكدت عليها اعماله السابقة. وذلك لا يعني ان المفاهيم الفلسفية التي شغلته في السابق طوال حياته قد تخلى عنها في روايات المرحلة الاخيرة. فالموضوعات (الثيمات) المعتادة بقي لها كلها حضورها: الجحيم المظلم، الانسان مواجهاً الله، الجسد كنقيض للروح، ذات النظرة الى العالم، ذات التوهج التنبؤي. غير ان العنصر الفلسفي صار ثانوياً الآن ليتقدم عليه العنصر الفني. لقد تحول كازنتزاكيس الى الفن غريزياً، عائداً الى طبيعته الجمالية وجذوره الاغريقية لينقذ كلا من الرؤيا ووطنه ونظرياته من النسيان.

تعكس الروايات الكبيرة لهذه المرحلة التأكيد البطولي للحياة في وجه الخراب الذي اكتشفه كازنتزاكيس على جدران «كنوسوز» حين كان شابا، وجاء ليفهم كانسان. حياته في هذه السنين الأخيرة قد حققت الصفاء والهدوء. تصفه زوجته «هيلين» وكأنه محاط برائحة قداسه. بثقة العمر وجزئياً بمعرفة قوته، كان كازنتزاكيس في نضجه، قد أنهى العداء الذي كان لديه على نحو مدروس وبواسطة القدرة، بين الروح والجسد. ذلك الصدع الذي ميز الصراع في بطل «الثعبان والزنبقة». ولا بد انه في عمله الاخير كان قد توصل الى رؤية

العنصرين المميتين الروح والجسد كصديقين، كل منهما يستطيع ان يغرس في الآخر قوته الأساسية. وعلى العموم فان الصورة الاخيرة التي تركها على الصفحات الاخيرة من مذكراته[٣٤] هي صورة الثور كطائر في «كنوسوز» التي توضح الاكتمال لهذا التلاحم الهارموني للجسد والروح ويعبر، ربما أفضل من أي شيء آخر عن رؤيا كازنتزاكيس كيف ان على الانسان ان يلعب لعبة الحياة المجيدة، وكيف يتحتم عليه ان يموت.

الثعبان والزنبقة

كاراما نيرفاني

الى توتاي

١

٢ ـ مايس

أصبت بالحمى اليوم. الرعشة تسري في جسدي ـ شيء ما يتلوى ويتمدد في جسمي ـ وكأن ربيعاً يرتج منفلتاً فجأة ـ وكأن فكراً لا يروض يسيح خلف جبيني.

شذى جسدها لم يزل ماكثاً حولي ليموت ببطء، يتسرب من بدني ويثمل روحي. شخص ما يدفعني لأن أعدو خلفها لأطلب منها ان تعود وتجلس على ركبتي وتمنحني شفتيها مرة أخرى.

رأيت تينك الشفتين لكأنهما قطرتان كبيرتان من الدم وحين أنحني عليهما لأقبلهما تدمدم في أوردتي رغبة وحشية وغريزة من العصر البربري البدائي ـ وارتعش ـ لكأنني أمتص جسداً بشرياً ينزف منه الدم.

٣ ـ مايس

أنا اليوم أكثر هدوءاً. لن تأتي هذا المساء اشتاق اليها واخشاها. انه لأمر

غريب ما أشعر به نحوها، جسدها اللدن وعيناها الواسعتان وشفتاها الحمراوان المنقوعتان بالدم.

في احدى الليالي كنت جالساً مغتماً في حديقة خارج المدينة، كان لدي هاجس ان روحي تنتظر شخصاً ما. التفت فرأيتها. كانت جميلة مبتسمة تسير تحت الاشجار مقتربة مني. دفعتني يد. آه، لكم أتذكرها: يد مطلقة القدرة دفعتني. فاقتربت منها وأخبرتها باسمي ـ اسم فنان شهير ـ وطلبت منها أن تسمح لي بتخطيط صورة لها.

عشقتها،عشقتني، الأغنية الأبدية، المكررة، البالغة الانسجام، والآن أريد هذا الجسد ذا العينين الواسعتين والشفتين المنقوعتين بالدم أن يأتيني دائماً، يحضنني، يملأ غرفتي بخدر ورعب النعيم. ان تبقى تصعق أعصابي وتستنزف جسدي برغبة العناق الواهنة المميتة تلك. أحس بالألم، اثر أيام، في البقع التي قبلتني فيها ـ كأنها احتراق ـ عذوبة سامة تقطر من شفتيها الى شفتي وتشل عقلي وكل بدني.

حين تغادر وأعود الى لوحتي، تصاميم سحرية تقفز من يدي، توحدات من الضياء والظلال وألوان منفعلة مخبولة. بحار مطلقة الاهتياج، غيوم ذات أشكال غريبة تعدو في السماء وتهبط على الأفق لتعتم الشموس الهائلة العجيبة التي تشرع...

٥ ـ مايس

أنت تقومين بمغامرة في روحي وعلمت بأنك آتية. كنت في انتظارك. كنت في انتظارك مثل الأرض الجامدة في انتظاراتها وآلام عزلتها الشتائية. أنت الربيع وجئت برقة،آه، رقة رائعة تنساق غائرة في روحي. أفكاري تنحل. أزهرت وفاح شذاها في طريقك.. ينبجس لون الأمل ويبتسم تحت قدميك. نفسك دافيء ومتراخ يمر فوق روحي واحلامي تستيقظ من خدر شتاءاتها الهانئة وتراك دون

دهشة فتسخر منك. لقد عرفت انك ستأتين،. بعض الطيور التي في داخلي فتحت عيونها ورفرفت بأجنحتها. وأنت ابتسمت وانسقت بعيداً ، آه برقة رائعة، ملكة في روحي.

برفق، برفق اندفعت في روحي بغرور وغطرسة الورد وشوق اللبلاب الذي لا حدود له والتماس البنفسج الخجول الصامت. وقبلة بدون نهاية تنتشر بوخز خفيف وتجلب الرعشة لجسدي.أحسها ـ أنت ربيع فاتن ومبارك، وأنا الأرض الأم العظيمة الداعرة ـ تلك التي تفتح حقويها وتنتظر.

١٠ ـ مايس

تعالي.. حنين روحي يحفر في روحي وشوق مطارد يجثم في التمثال الرخامي الكبير وينسحب نحوي. ستنداح يدانا معاً تحت الانسجام الرخامي، ستلتقيان وستمتد المدينة الأثيمة تحتنا وستراقب كيف ينثر البنفسج براعمه عند الغروب على المياه في الأسفل.

البنفسج ينثر براعمه عند الغروب فتعربد الألوان. آه حبيبتي! ركبتاي تصطكان بالرغبة والقبلات تصخب على شفتي. متعة الحياة تمور بعنف في صدري. والحب يبهج روحي بخمر صوفي من الربيع وبهذيان السكر.

آه حبيبتي، حبي يحتفل الليلة. انظري الى الموكب البهيج الصاخب القدسي وهو يهبط من كيراميخوس[١] ويقترب ـ مثل موجة تجيش بأغنية وتعلو مفتونة لتقبل الصخور الجميلة.

آه حبيبتي، آه الهتي، ارتفعي فوق الرخام وابتسمي. أنا احتفل بالباناثينا لحبي. وتلك هي أحلامي مرتدية ثيابها المبهرجة الاحتفالية منطلقة من المقبرة لتعبر البوابتين[٢] وتهبط ببطء من الصخرة المقدسة[٣]. انها تحمل بيديها القناع السحري الثمين المحاك ببراعة. ليلا ونهارا تنحني فوقه في الليل تحت سحر القمر وفي النهار في لهب الحب، مزوقة.

آه حبيبتي، آه الهتي، ارتفعي فوق الرخام وابتسمي. نايك[٤] يستريح في يدك. جسدك العاجي يتوهج في الليل. وتحت قدميك تهجع الأفعى الهائلة ملتفة في هيئة ركام ـ ذلك الاله الخفي الذي ينشر الغنى في أعماق الأرض. الاعمدة ترتفع بفخر وريعان البياض الصلب في الرخام تنفين فيه الحياة وتعود كل الآلهة ثانية الى الطنف وحرب اللابيثيين والقنطورات تشن مرة أخرى على ميتوبيس[٥].

ابتسمي عند المثلث اليتيم، آه ايتها الحياة الحب، ستعود ثانية الأفكار الرخامية لفيدياس[٦] وستبعث الآلهة العذراء مسلحة وسيحتشد الآلهة مبتسمين.

الطنف والأفاريز ستستعيد شبابها وسيمتد السقف فوقها وستستيقظ الألوان النائمة وستعود النصب المبعدة مبتهجة، والجميع سعداء سائرون نحو قواعدهم، يحركون أذرعهم البيضاء الصلبة بسكون ضمن الخطوط الرخامية الفنية.

آه، حبيبتي ،آه آلهتي، ارتفعي فوق الرخام والبرج عذراء في أعماق المقام المقدس وابتسمي. سيهبط الموكب الآن على السلالم الرخامية ليسقط تحت قدميك ويعبدك. هواجسي السوداء، وعواطفي الوضيعة وأفكاري الكئيبة كلها تجر نفسها مقيدة الى نصبك كي تكون ضحية. أشواقي تخب الى معبدك مثل الفرسان، آه ياحبيبتي العظيمة ولهفتي، العذرية التي لم تقهر، تعبر بيروبيلايا مثل حاملات السلال[٧] اللائي يحملن الزهور البرية الحمراء التي جمعت بيادر من الفاسق المبدع قلبي.

أنت الآلهة الوحيدة، أنت الحقيقة و الانتصار ! الأبدية تبتسم على جبينك وحماسة الحياة تضطرم على شفتيك كل المظاهر الصوفية والمخجلة للحب تجلب الوهج لوجنتيك. أنت التناسق الايقاعي، أنت الحقيقة و الحياة . الموكب المقدس لحبي يتكسر كالموجة وينتشر تحت بارثينون ورغباتي تركع وتنثر بصمت كل براعمها المزهرة تحت قدميك.

تعالي يا فاتنة روحي! اهبطي من الرخام وامنحيني شفتيك وجسدك. لهف

العصور ينصب على قمم الأعمدة ورغبات أميال من الموتى تقفز من التراب. عميقاً في خمود الرخام الأبيض يستعر لهب عاطفة الحياة الأحمر ويتملكني.

في الضوء المضبب للغسق هناك بعد مياه سالاميس[٨]بعيداً عن تراب كيراميخوس. الذكريات العظيمة تنزل بعظمة من الصخرة المقدسة . تعالي أنا احتفل الليلة بباناثينيا حبي العظيمة.

دعينا نملأ قلبينا، مثل كؤوس باناثينايك بخمرخيالي وستشع عيوننا بسكر الحياة وستمتليء شفاهنا بالقبل. ومن هذه الصخرة دعينا نغني كلانا عن جمال ابولو وكرم ديونيسيس وحاجب اثينا الرفيع وشباب هيبي[٩] الدائم وشفاه أفروديت الحمراء، القبلة الأبدية والظمأ الأبدي. دعينا نثمل أنفسنا بالابتسامة التي لاحدود لها لسمائنا والتزاوجات الشهوانية لألوان أرضنا، بأغاني عنادل كولونوز[١٠] وبالعسل الذهبي الشمسي لهيميتوسنا[١١].

تعالي مثل الآلهة الخالدين على الطنف، دعينا، أيضاً نستلقي هنا على الرخام عابرين من سالاميس التي تهجم من البحر مثل انتصار هائل وتبتسم لنا... دعي قلبينا يتفتحان كبراعم الورد، مثل قوارير مثقبة مثل شفاه تصلي، ودعيها تشكر الآلهة العظيمة لخلقها الحياة الجميلة وشفتيك الحمراوين وحبي الكبير.

دعي سقراط والسيبياديس وفيدياس ودايوتيما وبيركليس وأسباسيا، أولئك الكهنة العظام والكاهنات للجمال، يبدؤون الرقص والغناء وطقوس القربان المقدس. ودعي ـ الناس المختارين ـ من قبل الآلهة ـ كل الاثينيين وسيداتهم ـ ينضمون ببهجة في انسجام مع اللازمة الفرحة للكهنة. ودعي كل الزهور تينع حولهم وكل التوافق ودمدمة البحر تحلق الى هنا وكل الهدوء المبعد وفرح الاولمبس يعود مرة أخرى وينصب الى الأسفل من الأعمدة المتوجة لبارثينون ومن عباءات الكاريا تايدز[١٢]، وفي الأطراف الجميلة للسيدات وعلى حواجب الرجال دعيها ـ تلك العظمة،تتناغم، رجفة الحب المقدسة تلك.

١١ ـ مايس

آه من جسدك الذي مابرح مستلقياً على الشراشف البيضاء وشعرك المنثور على الوسادة وشفتيك الشاحبتين اللتين أرادتا أن تقولا شيئاً ولم تستطيعا!

٣ ـ حزيران

مصاب بالحمى انني اعاني. هنا، هنا في صدري. أحس أن ناراً تستعر وتهدر في عروقي. لدي شعور انني لو فتحت أحد شراييني وسمحت لبعض الدمع ان يجري لاسترحت.

٤ ـ حزيران

أريد أن اضفر زهواً في شعري. وأكدس أوراداً وتفاحاً وعطوراً حولي. وأضع كل حبي فوقها. عرائش عنب[١٣] أشد خضرة تعلن شهوتها في داخلي، تنسج حولي وحول عقلي، تبحث عن عالم لتعانقه. تبرعم صوفي للورود والبنفسج يأخذ محله فيَّ، وأنا أسمع البراعم تعلو، والعيون المشرقة تفتح، والطيور تغرد، تغرد...

بعض الغموض يحتفل في شيء طقوسي. انحنيت وسمعت ترانيم وصلوات في صدري ورفرفة الأجنحة التي تتفتح وتلك النبضات التي تشبه أصداء شبح جرس كنيسة، يدعو افكاري الى طقس القربان المقدس.

اشعر أن الها ينزل فيَّ. روح الخلق تنفخ فوق أفكاري واصبعي الذي يتلألأ بالضوء يمس حاجبي . رافائيل وبراكسيتلز يعملان فيَّ. أسمع الفرشاة رقيقة وجبارة، تتسلق قلبي وأشعر أن الرسوم العظيمة تخرج للحياة. مادونا بابتساماتها الرقيقة وسحرها الفريذ ـ جيروب وعيونها التي تشبه الزهور، تريح رؤوسها الذهبية على اذرعها ناظرة بصمت ساكن الى السماء.

أشعر أن ازميلا غامضاً ينحت فيَّ. ويد اعجوبة تتحرك صعوداً ونزولاً مؤلهة جموع الرخام خلف جبيني. أشباح رخامية للآلهة تتوهج في أعماق روحي، أحلام شهوانية تحيا، حالات عشق ايروسي تظهر، وأفروديت السينيدية[١٤] مثل زهرة يانعة لعالم أكثر جمالا، ينهض من موجات رغباتي، تهدأ وترخي المشد ـ وبراكسيتلز الذي يرى فرينه[١٥]على ركبتيه يبتسم.

آه لوتجمعت كل رغبتي لتكون قبلة واحدة وتجيء اليك في احدى الليالي لتقبلك بأكملك.

١٠ ـ حزيران

عيناي لا تكلان من النظر اليها. هي تسند رأسها الى صدري وبخجل تعانق ركبتي في صمت. وأنا على قمة شعرها مثل امرأة تمسد شعر طفلها قبل ان ينام. تهوي صلاة من شفاهي وتشتبك برقة مع شعرها...

١١ ـ حزيران

خلال كل الليل أنت تتوهجين في قلبي بألق عجيب وهالة عالم فائق. مثل اله في شجرة هوريب[١٦] المحترقة.

حبك، مثل عناق فضي للقمر، يلبس روحي بالسكينة والضوء. حين انظر اليك ترزح ركبتاي تحت ثقل، ويداي تشتبكان على نحو لا ارادي وتنفتح روحي بتمامها أمامك ـ هكذا تنفتح الزهرة حين تشرق الشمس.

أتحلل في صلاة ونشوة وتشحب شفتاي من الغناء بمدائحك.

مأأحسه نحوك هو دين وأنا اتحرك كي أتسلق الجبال الشاهقة التي تتحدث عن الأسرار مع السماء كل صباح في الفجر، مثل الحب تحمر قممه ـ وتركع أمامك متضرعة.

٢٠ ـ حزيران

وطئت نباتات عبقة وأصغت نفسي لكثافة السدر واللبلاب وسمعت همهمة الهة[١٧] الطيور المقدسة الكبيرة، وفي كل مكان، كل مكان، تحت الأوراق المزخرفة، ضمن قباب المعابد حول تمثال بانديموس أفروديت[١٨]، ترى عيون روحي كاهنات جميلات ملوحات بالشمس مصبوغات الشفاه، وتيجان ذهبية حول شعورهن، الطير المقدس في اليد، ينتظر ويبتسم...

٢١ حزيران

حين تفتحين عينيك الهائلتين وتنظرين الي، تنفتح أمامي بحار قصية لا شواطيء لها تتلهف لجسد البحار.

شبكات سرية تغوي السفن، مياه عميقة توجد وتزود بدموع الأمهات. موجات تبدد وتقلب وتذيب الصخور الهائلة التي تهشم الحب الى جزيئات بالأغاني والقبل والمنحنيات المبهجة للحواس.

مياه عميقة تبتسم للضحايا العراة بينما تطلق صدى الأبدية، وأغنيات الحب المهلكة الى جانبها.

حين تفتحين عينيك الهائلتين وتنظرين الي، مغناطيس سري يجذبني باتجاهها والصوت مليء بالهارموني ويغني لي بعذوبة. وأنا بحار حب غرقت سفينته، أشعر بالاندفاع زحفاً لعناقك، آه، يامعين الأرواح! الغارقة في اضطراب سائل أمواجك.

٢٢ ـ حزيران

عيناك الواسعتان الساهيتان تتوهجان امامي ليلاً نهاراً وتقودانني. انهما يشعان على ممر الحب ونيران سير الحياة بضوئهما الجميل. الشمس تمر بي ثم

تنطفيء في المياه. النجوم تزهر ليلا في حديقة السماءالسرية ـ لكنها تذوب وتذوب في الظلام وأنا مددت روحي على جسدك وجررت بلذة متهالكة بكماء الغموض الكبير لعينيك الذي يتوهج أمامي ويقودني في الليل.

أشعتها تتسلل في شعري وبرقة تقبل جبيني وتصب في داخلي قبلا ليمونية. وروحي بتمامها تنظف وتخمد موجات رغباتي وتذوب كل روحي في السماء اللازوردية الصافية ـ وتتوهج ليلا ونهاراً، ترتعشان مثل نجمتي حب غير كامدتين، هما ذلكما العينان الواسعتان، الجميلتان، الساهيتان.

٣٠ ـ حزيران

أتت المرأة الوحيدة التي ملأت روحي. حين تمررين يدك ببطء فوق شعري، عوالم مخفية تتفتح داخلي، وازدهار صوفي لليلك والورود واللبلاب يزهر ويتشابك حول أفكاري. أشعر بالدافع لأن أنحني وأنثر الأكاليل والرغبات البريئة وأسرار الحب في طريقك. حين تبزغ ذكرياتك وتقذف بلونها الوردي على روحي أراك تبرزين من خلال غابة أشواقي، على طول مديات جبل احاسيسي، خلال كثافة أوراق رغباتي، ممتنة صامتة وبسحر طافح، وأحلامي تسقط ساجدة على ركبتيها لتراقبك.

تمرين مثل ضياء فوق روحي، وكل أحاسيسي بهدوء تلتقي في عبادة لمرورك.

١٥ ـ تموز

أنا أجلس في مرسمي امام اللوحات التي بدأتها ولا أستطيع اكمالها ـ أجلس هنا، أفكر ملياً. أنا مستيقظ وأحلم. وأرى حبي يقترب، مبتسماً بصمت بتلك العينين الواسعتين وذلك الجبين غير المتغضن الذي لم يقبل ولم يلوث بيرقة التأمل. أنا نثرت دربها بسعادتي وبالمتعة وليلك براءتي وأزهار اللوتس المقدسة.

وهي تدوسها وتقتلها وتظل صامتة وتبتسم ساخرة من روحي. وأنا اختض من الحب، من الخوف، سعادتي ومتعتي والليلك تموت تحت القدم. وأنا أسمع شفتيها مثل فولاذ محترق يضغط على شعري.

وسم الرغبة يلهب دمي. آه يامختارتي! حين أموت سأموت من الحب والخوف في منتصف ليلة في حضنك!

٢

٢٠ ـ تموز

جاءت الليلة باسمة ومبتهجة وأخذتني لنتمشى. كان الليل قد جن والمنازل رقدت لتنام. الرجال العائليون يعودون الى البيت مع نسائهم وقورين وصامتين... الشباب، الشاحبون من الاستيقاظ، كانوا متجهين ببطء وكآبة نحو تسلية ما. بين الحين والآخر تسمع جلبة عربة مارة. أما نحن فكنا نسير على عجل ـ دون كلام. لم أكلمها. لم استطع وأنا في وسط كل تلك المجابهات الحياتية العادية.

بعيداً جلسنا الى جانب البحر على صخرة. شيء ما ثقيل كان يثقل صدرينا. وعلت فوقنا غيوم داكنة وكثيفة. لكأنما كان عزاءً مليئاً بالدموع. كلانا كنا قلقين. ربما كان هاجساً. لم نستطع الجلوس ثابتين في بقعة واحدة. رحنا نزحف الى الوراء أو الامام على الساحل الرملي أبكمين أخرسين. البحر اللامتناهي امامنا. كأن ليلا لا نهائيا يرتفع فوق المياه ـ حزن لانهائي.

عدنا صامتين وحزينين. حيث افترقنا وانحنيت على عينيها ورأيت كل

هلاكي ـ ورأيت ليلا لا نهائيا، حزنا لا نهائيا ـ أحسست أن شيئاً مجروحاً يتدلى جميلاً في داخلي وبدأ ينحب.

٢٧ ـ تموز

أنا قلق. سأم يقيد جسدي وروحي بأكملها. أجلس لأعمل ويداي تهويان مرهقتين وعيناي تغمضان وأسقط في التفكير... نعم، الآن أدركتها، نعم، غرابة وامتقاع، محنة غامضة تحوم فوقها وتلعق جسدها. حين ركعت أول مرة أمامها في الحديقة كان الوقت ليلا وكنا وحدنا نرتعش من الخوف والحب. الاشجار حولنا كانت تتنهد ورايت الورود أمامنا ترمي ببراعمها الذابلة. نضم ثمة فاجعة تضطجع في كمين. كانت جميلة، ساكنة ،هادئة عيناها تشبهان بنفسجتين نضرتين في الليل. جسدها الأبيض يتأجج مثل زهرة ليلك هائلة، عذراء وبريئة. لقاح الزهور ينتشر بين الأوراق. وحين ركعت أمامها انفجر صوت أحد ما جريح وعلى شفا الموت من قلبي، ينهض ممزقاً صدري قاذفاً على شفتي ألماً أبدياً لكلمات خالدة: أنا أحبك.

رعب ينهض في الحديقة ولوم الورود يرن في قلبي. شيء تكسر في داخلي. وحين تلتفين قوية بيضاء بين الورود المنزوعة الأوراق،لا؟ الا ترين شيئاً؟ آه يا قدري! الآن فهمت. الشيطان الليلي يبني صرحا ويمد اجنحته الجبارة هناك في الغموض الأسود للاوراق الزخرفية، ويهسهس في ضحكة مميتة كريهة تظهر من شفتيه لتطفو فوقنا وتملأ الحديقة.

وأنا انحنيت ورأيتك مضطجعة شاحبة وسعيدة على الورود الميتة، قدر معلوم يسحبني بعيداً، سعيدا ولا قوة لدي، ضحية للالم والحب، هناك في الأوراق الزخرفية الصوفية تحت الأجنحة السوداء.

٢ ـ آب

كلا، لا بد لذلك من نهاية. عقلي يمتد الى نقطة الحسم وأنا مرتعب. مرتعب من المعركة الطاحنة الهائجة خلف جبيني، الآن حين تأتي سأحل اللغز. سننفرد كلانا، لا أحد سيسمعنا. سيكون الليل، وسأقرب وجهها من الضوء وسأرى أي ضرب من السفن تجوب تلك البحار ولماذا هيَ تثقل بالأحزان روحي؟ أريد أن أرى. سأضع يدي على شفاهها كي أمنع نفسي من النظر اليهما. أنا أخاف من النظر الى شفاهها. أنا أخاف عليها. سأخفي جبينها وشعرها وسأخفي جسدها تماما بجسدي وسأترك عينيها وحدهما مفتوحتين وسأنحني وارى. آه لا بد من نهاية لهذا! رحت أخشى الجنون. هذا الصباح جلست لأعمل وتحرر من يدي تخطيط امرأة واستقام على الجنفاص وخشخاش أحمرمثل قطرة دم هائلة رسم نفسه على صدرها، مثل جرح.

٣ ـ آب

أتت. رائعة وخجولة وجذلة. شفاهها حمراء، لا تشبه الدم، بل تشبه وردة لم تتفتح أوراقها تماما تبدو وكأنها تبتسم لعابر سبيل محيية. كانت عيونها ناعمة مثل المخمل وروحي تتكأ عليها وتستريح. وحين تلاطف يدها جبيني يمسي فكري هادئاً، انه يكف عن العواء ـ انه يخضع لليد الصغيرة الكلية القدرة والبياض ويبتسم. تفرج شفتيها. لكأن وردة كانت تتكلم.

هل عملت اليوم؟ كلا يا حبيبتي، كنت أفكر فيك. وعجلت في تغطية تخطيط الصباح كي لا تراه. ترى ما علاقة التخطيط بها؟ وقعت عند ركبتيها. قربت وجهها وغنيت لها حبي. حب صاف وهادىء، مثل ماء صاف يجري مطمئناً. اماتة ـ هدوء مثل استهلال رقيق لجنة الموت التي جرت في داخلي. لم استطع التفكير. كان قلبي يفكر بالحب دون استيعاب لما يقول، مثل أرغن منفصل عني ـ مثل نابض مسسته وراح يتذبذب.

كانت تصغي وتبتسم. كنت أصغي أيضاً، وأغار من حب كهذا، من الصفاء والسكون المميت . حين انتهى اللحن وشاع الصمت وتدخلت الظلال بكثافة في الغرفة رأيتها تنحني فوقي خرساء وسعيدة، وشفاهها تلتصق بشفاهي ـ مثل طفيليين غريبين ممتلئين دماً يمتصان الأرواح.

٤ ـ آب

آه من الهلاك الصوفي وجلد جسدك على اللوحات! أنت تعانين من هلاك الضحايا أمام الهيل، ومياه الرغبات الأبدية تنتشي في عينيك. قبلاتنا ترتجف من هاجس ومن لهاث الموت للفرح، غزارة هارمونية لفردوسنا وعويل لا عزاء له لكل أحلامي.

١٠ ـ آب

رحت أقدم وأحجم مثل رجل مجنون في الاستديو. مرة أخرى الخطوط الخارجية الشبحية وأزهار الاقحوان. قطرات الدم تتقافز في فوضى طقس عربيدي تحت يدي. العمل مستحيل. لا أستطيع ان أركب أو أخلق أي شيء منطقي. أمس بدأت في رسمها وخططت جسدها كما رأيته منبطحاً على الأرض في الليلة الماضية ـ وحين انتهيت، رأيت ـ لقد رسمت زهرة زنبق كبيرة وقد تقطعت ورميتها بلا رحمة في النهر الهائج. واليوم أرى ـ انه ليس نهراً بل ثعبان مهتاج يهرع لمكان ما ويمسك بزنبقة هائلة في فمه.

١١ ـ آب

آه من أعجوبة جسدك يضطجع بهياً على الفراش! وجفونك الثقيلة وهي

مثقلة بالرغبات! آه من الشعاع المتألق من جسدك في الظلام! أرغب لو أقتلع براعم أزهار وغصون السرو وركام أزهار وصلوات. أنت تنامين وتبتسمين. وأنا أملك حافزا لأتحسسك من شعرك وأضع يدي على ذلك المنفخ الذي يطفق ناهضاً ويهبط عند حنجرتك، وأضغطه فأتمتع بألمك آه حبيبتي، وأرى كيف أن عينيك تفتحان فجأة بالرعب وأي لون للرعب سيضفى عليهما، وماذا ستفعلين بشفتيك. سأضغطك بيدي على ذلك المنتفخ الذي يظل ناهضاً ويهبط عند حنجرتك وسأرى أي جمال في الإلتواء الأفعواني لجسدك سينحني ويثني نفسه حولي. عيناك ستنتفخان والهلاك في صوتك سيساهم في المتعة. مثل قرقعة موت، مثل تلك الصرخات واللعنات التي أسمعها أحياناً في الليل تأتي من النجوم في نوبات احتضارها. ستربضين في زاوية السرير وستلتمسينني، وسأحس دمك في يدي، آه أيتها المتعة الوحشية، تقطرين دفئاً ونعومة من خلال أصابعي وتنتشرين على الشراشف البيضاء ثم تقطرين من الحاشية...

ماالذي أصابني؟ لماذا، لا شيء يا حبيبتي؟ لماذا أنا شاحب؟ لا بد أن يكون ذلك من القلق والحب. كنت نائمة وكنت منحنياً فوقك أراقبك وابتسم.أوه، لا، ان صوتي لا يرتعش... لماذا يرتعش يا حبيبتي؟ كنت نائمة وكنت أراقبك ورغبات غريبة كانت تلتهب في داخلي لألفك مع أجنحة أغاني حبي وأشواقي الكلية القدرة وأهرب، الى مكان آخر حبيبتي، لا أعلم أين... ثمة متعة خالدة تنهض مياه سرية وساكنة. سننام سوية هناك صامتين،جميلين ومباركين. وسننام هناك على الأرض وستمر الليالي فوقنا وسترتمي الورود وتسقط براعمها وتظل قبلتنا ولا تهتز، كبيرة كالأبدية والليل. كنت نائمة وكنت أنشر أغنية حبي على هدبيك وشفتيك المضمومتين.آه يا أغلى حب! لا تبك، حبي وحشي ومميت لكنه سرمدي.

١٢ ـ آب

لا تبك. لا تبك... خمر الحب ـ خمر الحب قد اسكر روحي.

١٥ ـ آب

أنا شاحب ومتعب ومالأزال مضطجعاً في السرير محاولاً التذكر. لمن أصلي، كان ذاك الملاك الذي جاءني في حلمي في الليلة الماضية ونشر جنحيه فوقي وطلب مني منازلته؟ لاأزال استطيع تحسس تلك القوة التي تتعلق بجسدي والجروح التي نثرتها يداه على جسدي. لا أستطيع حراكاً. شخص ما في الليل قد قطع كل جرأة شبابي . أنا مثل شجرة قد عذبتها سياط المطر وعواصف الثلوج خلال الليل. شخص ما اقترب مني في الليل وله شهوة لا ترحم للانتصار في عينيه،وليديه القدرة في افزاع الأرواح.وقاتلت يائساً. أردت الحياة وجعلتني رغبة الحياة عملاقاً، آه كيف احتواني مثل ملزمة ذلك الملاك الرجيم القاسي الذي عيناه تلمعان بالسطوع الوحشي للمنتصرين! لاأزال أحس بنفسه الفظ مثل أنفاس لاسعة لرمال صحراء ساخنة على شفتي، وأهدابي، شعري وكتفي. وأنا أعكف عليها الآن باستماتة ورعب مرتعش. من، اذن، كان ذلك الملاك الذي أتى الي في حلمي في الليل ونشر جنحيه فوقي؟

١٧ ـ آب

أتت الى غرفتي الليلة مرتعشة وجميلة بعيون تحمر على الأرجح من البكاء. كان ذلك يشبه مراقبة عندليب يدخل عش الصقر. حنان، حب وحنان يتداحان في ويرقان كلماتي. لماذا أنت شاحبة يا حبيبتي؟ لا ما كنت تبكين؟ آه، ايها المحكوم بالاخفاق، لابد أنك تعرف فقط ما قلت لنفسي! جلبت لي باقة زنابق. وشفتاها تهمسان بشيء ما. أخشى أنها كانت تصلي. رائحة عبقة دافئة وغير عفيفة تفوح من جسدها وتنفذ في جسدي. قلت لها أن تهدأ.

٢٢ ـ آب

أركع أمامك، آه يا اختيار روحي، وأتضرع اليك.

امنحيني شيئاً من السلام غير المشوه الذي ينام ويبتسم على جبينك ومن هدوء ايماءاتك الجليلة ومن ضوء القمر الذي يظهر من روحك العفيفة والهادئة مثل ملكة ليلية. أنحني أمام عينيك الصامتتين وأتضرع اليك. من اين أصلي، يأتون كل أولئك الناس المطمئنين الهادئين الذين يجوبون عينيك الواسعتين المبتسمتين؟ أنا انحني فوقهم وأراقب. أفكارك مثل زنابق هادئة تتأرجح تتأمل في بركها الرائقة. سماوات غريبة دون رعد وغيوم، محشوة فقط بالضوء والتناسق مليئة بالرب تنعكس هناك وتهمس الى مياه عن عينيك. أستطيع أن أحس بلغز السعادة يجثم هناك، وغموض الطمأنينة الذي يصب في البحيرات في الليل حين يتحلل الضوء في الغرب ويغطي المياه. سفن كبيرة انطلقت من عوالم أخرى محملة بالضوء وأغان عفيفة وزنابق صوفية تجوب عينيك. ملاك مكسو بالبياض يقف على مقدمة السفينة بجنحين منتشرين. انه لا يتكلم، لا يبتسم، بل ينسل برقة الى روحك ويختفي. آه أيها البحر اللانهائي وآه يا سكون!

٢٤ ـ آب

آه يا ليتني لا أحب شيئاً، ولا أكره شيئاً، أذهب بعيداً عن الناس وأقترب من البهائم بعيداً أذهب نحو البرية. وهناك لوحدي مع روحي التي لا تقبل الترويض أواجه السماء. كي أسند فكري بمشهد لا نهائية البرية وأغدو عنصراً من الزوبعة وعصف من ريح السموم وأتحد مع الروح الصامتة للبرية وأعمد روحي للنار، بالألوان التي تعربد وتصخب كل ليلة هناك في الغرب. آه ليتني لا أحب شيئاً كي أملأ رغبتي في الحنين العظيم الذي تحس به روحي للبرية!

٢٥ آب، صباحاً

انا في أمان ، سكينة تكفن وتحتوي روحي بأناة. خرجت الى الغابة كي أضطجع تحت الظلال العملاقة، كي أعانق الأرض الأم، لأنسى. الأشجار العملاقة فوقي والجبال تحتي كانت تخمد أناي وتنفي ألمي وفرحي. وطفقت أشعر في أعماقي أنني أيضا، جزء من هذه الغابة، الجذع الذي يفكر ويمشي ويبرز الأغصان ويذرف الأوراق ويموت... موجة تولد في النهر الذي يجري، في بعض الأحيان دامعاً وبعض الأحيان مغنياً، نازلاً نحو البحر ليموت... لماذا يجب أن نكون خالدين؟ لماذا كل هذه الأنانيات؟ مثل بعض الحشرات، نحن ولدنا لنقبل ونموت. غبارنا الموزع على الأرض سينتعش ويضحى عنصرا في شجرة وفي صخرة وفي طير يغني وفي بركة تنحب. فكرنا فوق ذلك سيصبح عنصراً في فكر الأجيال الأخرى. وستمر قرون لا تعد. وستأتي أيام سيرتجف الرجال فيها من البرد وسيجتمعون معاً للبحث عن الحياة وسيدفأون عميقاً في فراغات خط الاستواء، وستلد الأم الأخيرة الطفل الأخير وسيرد نشيج البشرية والعالم الصدى مثل لعنة ولن يرج حتى النجوم الاخرى التي ستستدير بهدوء في السماوات الجميلة والمبتسمة دائماً. ياللسخرية نحن مع عواطفنا وكراهيتنا وعشقنا! الان وبعد حين أجد نفسي جالساً في وسط اناس محتشدين أراقبهم يسيرون، ينتابني شعور أنني، أراقب من مسافة بعيدة. ضجة خفيضة،دمدمة أصوات مجردة تصلني. وأنا أرى تلك المخلوقات تأتي وتذهب بفخر مرفوعة الرؤ وس ،تحب وتكره وتغيظ وتضحك ـ وكلهم يركضون مشتتين نحو حفرة لا محدودة صامتة، شرهة. وأراهم يسقطون واحداًبعد واحد، يتوقف ضحكهم في وسط الهواء ـ يسقطون مثل قطرات مطر على البحر.وبينما أنا مضطجع تحت الظلال العملاقة في الغابة قلت لنفسي: كم سيكون أكثر جمالاً ان توقفت كل تلك العواطف وان دعم كل رجل قرينه، محيياً اياه بأنه حي، مزيلاً العوائق التي على الطريق ويدفع كل منهما الآخر بهدوء ورقة نحو القبر، سعداء دون الم. هناك يكون السلام أبديا، همهمة القبلات لا تثير عظامنا هناك في

الاسفل. العواطف لا تخترق الارض. وسيبقى البحر يغني أغنيته الماكرة والاشجار في الأعالي ستهمس وترتعد في الهواء وستظل تتورد وستظل تتنهد تحب ضربات الخشاب. سيحب الانسان، وستأن البهائم في اعماق الغابة بالحب والجوع. كل شيء سيكون في تقلب ومعاناة ويسطع فوقنا، ونحن لوحدنا هادئين وساكنين، بأيد مثنية سنكون تحت الارض ننتظر.

٢٥ آب، منتصف الليل

ماالذي تريده؟ لماذا حين عدت الليلة الى الاستوديو وجدتها تبتسم وجميلة بالحبور، شفتاها منتفختان بآلاف القبل؟ لماذا جئت الليلة حين كنت ميتا تماما؟ آه! تريدين قبلا يا حبيبتي؟ نغلق النوافذ لأنني أخاف. أخاف من النجوم التي تضحك عالياً هناك وتموت، وأخاف الكلمات التي تتفوه بها الأشجار. لماذا أنا شاحب؟ تريدين أن تعرفي سبب شحوبي يا حبيبتي؟ أناميت..لقد جئت للتو من القبر. وأتيت لأقبلك وأمتلكك، كلك.. تعالي، أعطني روحك وأعطني شفتيك أسميهما الليلة. سأخبرك عن غوامض القبور وسأريك،آه يا اختياري، ماالذي تراه ثغور العيون تلك التي تنظر للأسفل في الارض ليلا ونهارا.مجنون؟ تنعتينني بالجنون؟ الارض تشبه الزجاج وأنا أرى كل العظام وكل الجثث الممددة في الارض بأياد مثنية، تتفسخ: لدي عينان أفضل مما لديك. جبهتاهما تشبه الكريستال وأرى آلية أفكارهما وكل الربيعات وكل الرعب. أتفهمينني؟ كلا؟ آه يا حبيبتي! أنا أحبك وأخاف. أريدك أن تمنحينني نفسك كلها، كل ماضيك وحاضرك ومستقبلك، ودعينا نجمع نفسينا معا ودعيني أختبىء في جسدك وأضيع نفسي ولا أرى. لأرى ذلك الظل العظيم الذي يجلس فوقي ويعتم روحي.ألا ترين؟ انه يشبه جناحا أسوداً فاحما يتفتح في اتساع مريب فوق رأسينا. آه اخفيني ودفئيني وقبليني، أيتها الهلاك، لأنني أخاف...لأنني أخاف...

٢٦ ـ آب

آه أيها الحب البريء المهلك، لو كنت الذي أرسيه في قلبي! غادرتني الليلة الماضية في منتصف الليل، سعيدة وقلقة. راقبتك ولا عزاء لي وأنت تغادرين. كنت أراقب من النافذة. رأيت خطوط جسدك تتحدد بيضاء في الليل. سمعت خطواتك تموت برقة ورأيت بياضك يذوي.

لا عزاء لي. وحين فقدتك في الليل لم أعرف لماذا ذهبت الى الحديقة ونزعت البراعم عن الورود.

٥ ـ أيلول

هيكل روحي القدسي يشع في أعماق أفكاري الأكثر غموضاً وسرية، حيث أقمت صورتك، يا حبي الأمثل. أحلامي تركع نشوة أمامك وتحتفل بطقس القربان المقدس. حبي يضفر الاكليل الملكي على رأسك وألمي لا حدود له وثابت، هو قاعدتك. رغباتي تلهث ميتة عند قدميك والشوق المتلهف في كل جسدي ينهض كالمجنون حول بياضك. منذ اللحظة الأولى التي جئت فيها لأعرفك احتفل طقس قربان مقدس في قلبي ليلا ونهارا. كل أعصابي وكل أفكاري منذ ذاك قد تعلمت الصلاة. وأنا ركعت بكل كياني أمام هيكلك الذي يقف ويشع في قداسة قداسات روحي، أنا أركع وأصلي الى الآلهة القادرة، آه يا غالاتي(١٩)! بان تعودي الى سكون الرخام الميت، الى السلام الابدي والجمال الابدي. لأنني أخاف. موجة حزن تنتفخ وتنهض في قلبي وتأن وتهدد من حولك. فيض هائل يحيطك.

آه عودي، غالاتي، الى الجمال الرخامي للموت قبل أن تغمرك الموجة تماماً، قبل أن تدنس التجاعيد جبينك الجميل. أعرف دواء يشفي كل ألم، أعرف ماء خالداً يشبع ظمأ كل من يشربه. آه حبيبتي، انحني من أساسك الرخامي وتعالي دعيني أسممك بشفتي، دعيني أقطر الرغبة العظيمة فيك قطرة فقطرة. العزاء

العظيم والحنين العظيم لـ"نيرفانا" حيث الجميل أبدي والنوم عذبا ورابضا، وشهوانية الليل لاتتسم بمرارة الفجـر.

آه غالاتي! كل أفكاري وكل أحلامي وكل ارتجافات جسدي تركع أمام صورتك ـ في أعماق روحي وتستحضر الموت.

٦ ـ أيلول

أخبري روحك أن تركع قربي وأخبريها أن تفتح شفتيها بتبجيل وتنتظر: ملاك الألم يمسك بكأس الحب في يديك ويجتاز العوالم مقدما العشاء الرباني المقدس للأرواح.

١٠ ـ أيلول

لا أزال أخطو ذاهبا وآيبا، بانتظار شخص ما. عدوت نحو ضواحي المدينة وتسلقت (التل) وحدقت أمامي وتأملت. الشمس تنسل ببطء خلف الجبل وكل ما حولها من غيوم قرمزية وذهبية تنسج هدوء المساء على المياه. سكون العشق ينصب على الأشجار ويقبل الصخور الحادة ويسقط على البحر وقمم الجبال في انحدار رهيف ـ الطيور تداعب وتنشر أجنحتها وبكسل تطير الى أعشاشها. النجوم تسير عبر السماء وتبتسم، وأرواح بسيطة تنظر اليها وبقدرة كلية للصلاة هي، أيضا، تفتح أجنحتها وتجد أعشاشا في الأعالي في أشعتها.

كل شيء على الأرض نائم ويحلم. أنا رابض كي لا أوقض عوالم الحشرات النائمة تحت قدمي. كل شيء هادىء. الآن سيأتي القمر على الجبل، شاحبا وهادئا، ويقف مصليا فوق خدر اطفاله مثل عين أم عاشقة مجهولة.

كل شيء خامد. أجلس على التل وأحدق أمامي وأتأمل الليل يتسلل الى قلبي. أنا أتأمل، وطمأنينة البحر وصمت الاشجار والنجوم تتسلل الى قلبي. وبطيئا بطيئا يمكنني أن أشعر بالنعيم اليائس للأشياء الميتة وهي تدخل وتنتشر في داخلي.

١٥ ـ أيلول

تعالي دعينا نبكي سوية. موجة تتلاطم داخلي ـ مثل فيضان ـ وتأن حولك تناشدك. دمعة من روحي تتموج حولك وتناشدك.

تعالي دعينا نبكي من أجل أولئك الذين لا يستطيعون البكاء، الذين لهم العيون الجافلة والقلوب المليئة بالدمع. من أجل الزهور التي تتفتح وتذبل، من أجل الجبال الأبدية، من أجل الآلهة التي تنزل لتموت على الأرض، من أجل الحياة الواسعة والاجنحة الواسعة في الأعشاش الصغيرة، من أجل النجوم التي تجاهد كي تقول شيئاً لكنها لا تستطيع. دعينا لا نقبل بعضنا طوال الليل هذه المرة ـ نبكي فقط... الدموع تنصب على روحي منذ سنين وسنين. وأنا أغرق، آه يا قدري، يا حبيبتي! تعالي،ودعيني أنحب الليلة على الفراش. أريحي روحي من الفيضان والألم.

١٦ ـ أيلول

الزهرة تتدلى حين تثقلها السماء بالندى. روحي تتدلى من الحب.

٢٠ ـ أيلول

لهيب يستعر في مثل ضياء عشية العيد أمام أيقونة الرب. وأجنحة هائلة تنشر أمامي، مثل أجنحة طائر بري.

مخلب ينغرز في قلبي. وقطرات خرساء هائلة مثل دموع ومثل دم، تقطر واحدة فوق الأخرى وتقطع روحي.

لا تبكي ولا تخافي، يا أغلى حبيبة. انه نسر الألم العظيم، انها نار صلوات المساء للحب. لا تبكي ـ أنا ابتسم لألمي وجروحه. قلبي يتمزق وأنا أنزف من

الداخل. والليل يأتي وأنت تمررين يدك بخفة فوق جبيني والأجنحة تختفي والنزف يتوقف ـ كل الجراح تبرأ وتندمل في الليل. الرب، يحسدنا في الأعلى، وينتقم. لا، دعينا لا نبكي ـ دعينا لا نتنازل للبكاء! أشعرأن شيئا خالدا يحترق في داخلي ويبتسم. لدي ذات النار التي لديه وذات الجوهر الذي لدى النجوم. الأبدية تهتاج في داخلي وكذلك متعة كلية الوجود و القبلة العظيمة التي يضمرها خالقو العالم في عوراتهم. سلاسل لا تقتحم تقيدني الى الأرض ـ لكنني أشعر أن شخصاً ما هو الذي لا يتنازل كي لا ينحني للرب!

٢٧ ـ أيلول

أحدق فيك ـ ويبدو لي ـ يبدو لي، آه أيتها النهمة، أيتها المرأة، ان نثرت عشقي على الأرض ستخصب التربة القاحلة وستحبل وتلد آلافاً من الزهور الحمراء والاعناب واللبلاب.

٢ ـ تشرين الأول

حين أتت في الليلة الماضية وأعطتني يدها ونظرت في عينيها، كنا لوحدنا، وكان الكفاح الدموي للشمس التي تذوي مرئياًمن خلال النوافذ نصف المغلقة. ما الذي كانت تقوله الاوراق في الحديقة ولماذا كانت الاشجار تتنهد وتتعانق أغصانها مثل أيد يائسة تتضرع لشخص ما في الليل؟ نظرت في عينيها وابتسمت. نعم كل ليلة ستلفك ذراعي، آه يا قدري يا حبيبتي! عيناي يمغنطانك ويجبرانك على الرضوخ... أنا دحرتك كلا، امتلكت كل خلاياك.
أنت صغيرة وواهنة. تجثمين أمامي تحبين.. تحبين. أنت صغيرة وواهنة وتتعلقين بي في الليل وتشربين سم العواصف غير المروضة الذي يقطر من شفتي. آه يا قدري! ألم تفهمي في النهاية أنني ذلك المغناطيس الذي في أعماق الارض الذي يجرجرك ويقتلك ويدحرك؟

٥ ـ تشرين الأول

أقف وأراقبك. وأكره بياض جبينك وبراءة عينيك التي لا يسبر غورها. أنت بيضاء وتجرحين عيني.وأريد أن انحني دون رحمة وأدع روحي تمر فوقك وتحفر روحك بالأخاديد. أريد أن أدمي قلبك بدم الآمال الجريحة التي لا عزاء لها وبألم الأفكار اليائسة التي لا علاج لها.

أنت بيضاء وتجرحين عيوني!

وأريد أن أضمك ليلة بعد ليلة، وعند الفجر تظهرين غريبة ويائسة، مجروحة بجرح لا شفاء له في منطقة قلبك وبتلك اللانهائية للموت في عينيك الواسعتين، عينيك الجميلتين. أريد أن أكون ذلك الذي يكون فكرك ويلوث قلبك ويصب روحك في ذلك الرحم الفاجر الذي انصبت فيه روحي. كي أجعلك صدى ألمي، مخلوقا من فساد روحي ـ زنبقة ذات عطر فواح وزهرة ملوثة وبراعم متكسرة، لكأن عاصفة قد مرت بها خلال الليل.

١١ ـ تشرين الأول

ظهرا. عناقات العاشق العظيم تهبط وهجا من أورانوس[٢٠] وتسكن الأرض لتصبح أماً. السنابل، ذهبية تقهر، تطأطيء رؤوسها المثقلة وكأنها تفكر، وكأنها تتنبأ بالمنجل. خلف سكون الجبال. الأرض الواسعة تمتد لتنام الطيور هادئة والحيوانات ترتاح تحت الظلال. وفي الحرارة اللانهائية، في صمت الاشياء كلها وكل المخلوقات الحية، في القبل المتقدة للشمس التي ولدت الارض، يسمع صرير سري وغريب.

وفجأة يأتي نهار سعادتنا الساطع الذي لا يمكن نسيانه ـ حين كانت شمس الحب الجبارة تحترق فوق روحينا. تقاطعي مع عقلي وجسدي يا حبي المختار، مثل حنين الوطن، مثل اللهب.

٣

١٢ ـ تشرين الأول

الربيع قد ذرف براعمه وانقضى صيف حبنا والصفصاف تدلى في النهر ورددت الغابات صدى نحيبها. الاشجار مثقلة بالنذير. أثقال خريفية على قلبي. وحين تطأ ذكراك على روحي ينداح تحت نحيبها صريف الأحلام المغلوبة على أمرها، يولول لمرورها مثل أوراق ساقطة تبكي بحرقة لأنها سحقت في الأرض.

٢٠ ـ تشرين الأول

بيأس انسج ذراعي حولك وأنظر في عينيك. اذن لا شيء آخر لديك لتمنحيني اياه؟

٢٢ ـ تشرين الأول

أنا مرهق، مرهق. استيقظ ألم فيَّ. أنا سقيم، يداي تحترقان. أشعر أنني

قطعت من جسدي شيئاً ورأيته. آه لو كان قطرة دم واحدة، لاسترحت.

٢٥ ـ تشرين الأول

هذا الصباح ذهبت الى حديقتي كي أتنفس. كانت الأزهار متفتحة مستيقظة، ومنحنية من ثقل الندى، تنبس بصلواتها لنجمة الصباح. وحدها زنبقة في الأعناب المتسلقة كانت نائمة. أكاد أرى حشرة صغيرة جميلة تخرج بطيئة من بين أوراقها نصف المتفتحة ـ فاردة أجنحتها بجهد لكأنها كانت محملة باللقاح أو ربما بالشهوة. لقد قضيت الليل في داخل الزنبقة. رأيتها ترفرف بتثاقل في الأشجار، ثملة بالبهجة. أحسست ان عينيها محشوتان بذكرى ورغبة الليل ـ فلم تستطع الرؤية في مكان ما بين الأشجار. كان العنكبوت ينسج شبكته طوال الليل، ينتظر. آه كيف رمي في شبكة العنكبوت! وسرت قلقا تحت الأغصان دون أية كلمة، دون أن أرفع يداً من أجل انقاذ ضحية الحب سيء الطالع!

نسيته تماما. لم يخطر ببالي طوال النهار. لكنه في الليل، عند طلوع الفجر، حين نهضت قلقا من عناقها، ثملا من القبل التي عالجتني بها شفتاها طوال الليل ـ لا أعرف لماذا، تذكرت فجأة ذلك الحيوان الصغير اليائس ورأيت العنكبوت يتعلق هناك في مكان ما، ناصباً شبكة الموت الهائلة.

٢٩ ـ تشرين الأول

آه ثمة الكثير مما أشعر به دون سواه! أجلس الان هنا في منتصف الليل وأفكر. لقد غادرت للتو، متعبة وحزينة لأنني طردتها. حين انحنيت فوقها وأرحت جبهتي بين نهديها وشعرت بشيء كأنه النعيم والسلوان كأنه يتسلل في داخلي ويسكن ألمي، هزني اهتياج فظيع. وشعرت كأن أحداً ما قد قذف الي بكتلة الجسد هذه وتلك العيون والشفاه الحمر ونعومة الصوت لتهددني كي

أنام ـ مثل دمية يهدونها للأطفال كي لا يبكوا. وشيء يحفر في داخلي مثل تحد، مثل سخرية، مثل موجة، وأشعر بما يحثني لأن أختم على هذا الكائن الضئيل الذي قذفوه علي والذي يموت جوعا. كلا، كلا، انه شيء آخر ذاك الذي أبحث عنه. شيء آخر، شيء آخر...

وأسحب نفسي الى النافذة وأراقب الليل الذي ينتشر ببهيمية ويطويني. الأشجار نائمة. فوقها يقف القمر يقظاً. أكاد أسمع نفس الورود الرقيق في نومها. أحني رأسي المطوق بالليل وأصغي للصمت، وأفكر في نفسي. ما الذي، بعد ذاك، أبحث عنه؟

١٠ ـ تشرين الثاني

صرت ضجراً. قدماي قد أدميتا من رحلة الحياة. أجنحة روحي غنت في مأتم شبقي.

صرت ضجراً. قطيرات دم تؤشر دربي نحو الأرض. مملكة الرغبة اللانهائية، يا حبي المختار، ودرب عويل لاينتهي. رأت روحي الكثير وكانت عمياء. عمياء، دون عصا، محدودبة من جراء ثقل أسى جيلي بأكمله، مبعد من بلادي، مجرم من قبل أن أولد ـ لقد جرجرت نفسي حتى ركبتيك.

آه يا انتيجونا روحي ـ انثري شعرك الذهبي على قدمي وامسحي الدم منهما.

اعطني يدك آه يا ابنة ألمي، وقوديني أنا الأعمى.

١١ ـ تشرين الثاني

زحفت الدودة على وردة الحب. العالم كله لا يمكنه أن يسعد فكري. والعالم اكبر منك. أشعر بشوق عارم في داخلي للجبال العالية والآفاق العريضة والهواء الحر فوق الغيوم. صقر يكمن في ويحفر قلبي شاقاً طريقه كي يبحث

عن موطنه ـ روحي باتت مرهقة من تطواف الأرض وأمسى قلبي منهكاً من النحيب. ومن سماع نحيب العالم والألم الأخرس للنجوم واضطراب البحر الذي لا عزاء له. جسدي أمسى مرهقاً وجبيني تصلب وأريد ان أنام أخيراً على الفراش العظيم، أطوي يدي وأنتظر. من يعلم! المحيط في أعماقه أبدا ثابت وهادىء وميت. ربما يكون ذلك المحيط الذي فوقنا حيث النجوم تسافر فيه وتطوف، له أعماق لانهائية تحته، أعماق لا سكون فيها، حيث الحياة والألم لم يسافرا اليها ـ أكفان لازوردية أبدية لأرواح الاختيار والشهادة.

١٢ ـ تشرين الثاني

ثمة أوقات أشعر فيها أنه ليس فيَ خيالي الذي يخبرني أن عيون روحي تراقب ليلا ونهارا. بل وأشعر أنه اقصى جهد لعقلي هو ان يتذكر. أجيء من عوالم أخرى مشحونا بالذكريات والدموع والرغبات الوحشية. عذريٌ تماماً ولم أمس من قبل شياطين هذا العالم، أشعر أن روحاً في داخلي تنحب ليلا ونهارا تنحب من اجل ذلك القهر الغامض والذكريات نصف المطفأة والظلال الغريبة التي تزحف عبر الزنازين المظلمة لذاكرتي مثل أشباح بطيئة مكفنة بأكفان طويلة. تجيء روحي من عوالم أنقى وحنيني للنجوم لا شفاء منه. وأفراح هذا العالم قليلة بالنسبة لي والمجد ليس الاسخرية من رغباتي والحب لا يمكنه أن يقنع قلبي. ليس سوى رذاذ يسقط على رمال الصحراء المحترقة. سائر في نومي أسير في هذا العالم، مفتوح العينين ولا أرى شيئاً . أحمل عوالم غريبة في داخلي وأنظر اليها ليلا ونهارا. عوالم عظيمة وجميلة تتوحد مع الألم الذي يجلس دون حراك على روحي. أسير على التربة وأرى بحار التناسق الشاسعة أمامي وسفناً تلمع وتختفي ونجوما تبزغ مثل شموس وتبتسم ـ معارف ماضية وقلاع مهجورة لروحي.

روحي قد ضلت في سفرها في النجوم ويدك واهنة وصغيرة يا أغلى حبيبة، وعيناك ضحضاحتان وروحك من عوالم أصغر ولا تستطيعين أن تدليني نحو

الطريق الصحيح، في الليل حين نكون لوحدنا ليس بامكانك ان تحملينني بين ذراعيك البيضاوين وتعيدينني الى وطني.

١٥ ـ تشرين الثاني

آه من تلك العطور الرديئة التي تتراكم عالية في الروح وتنتظر! آه من منضدة المذبح الصوفية التي تعلو في قداسة العقل، مغطاة بالارجوان. والكتاب الغامض المغلق ذو الأختام السبعة عليه، ينتظر.

بوابة المذابح مفتوحة والكأس القدسي خال ، ينتظر يائساً، الام والجسد سنة بعد سنة.

وأعقد يدي وانتظر. رحت أشحب وارتعاش النذور السوداء ينتزع القوة من ركبتي. روحي تلتوي تحت الألم. توق طقس القربان المقدس ينحب بلا رحمة في داخلي. كل جسدي وكل أفكاري وكل أشواق جسدي في انتظار العشاء الرباني المقدس. وليلا ونهاراً أحدق في أعماق روحي حيث يشع الكأس القدسي، خاليا دون أمل.

وأنا خائف... وأبدا أفهم... وأجلس قانطاً ـ آدم ملك مخلوع، وأتذكر بلاداً أخرى وأبكي ـ أبكي البكاء المر اليائس على اليتيم المبعد.

١٨ ـ تشرين الثاني

وأنا دون حراك لا أشعر بالفرح ولا بالحزن، اضطجع قانطاً وأتأمل. أتأمل الغروبات التي تكون دائما جميلة ودائما متشابهة وحزينة جداً وألم ناقع في الدم خلال كفاحها ضد الموت. أتأمل النجوم التي تذرف الدموع مثل اله لا مرئي ينتحب...

وعن بعد أسمع تنهدات الزنابق الواحدة بعد الأخرى وهي تتساقط فوق

المياه، وألحان البنفسج الحالمة تحت الأوراق، ونحيب الورود المجروحة بالأشواك في الليل... ازدهار غريب للأحاسيس ينفتح في روحي وأنا أسمع النحيب العميق الذي لا حدود له... أنت تنحنين فوقي، آه ياقدري! وأنا لا أشعر بالغبطة ولا بالحزن. أنا لا أراك. لست الاجزئاً آخر من شيء ينشج، أنحني وأتأمل... روحي هي القيثارة الأبولينية [٢١] تداعب عالما كاملاً. كل أسرار بكاء الغروبات في عيني. وكل أشواق الطلعة البهية... أنت تنحنين فوقي، آه يا قدري، وتقبلينني وتضحكين وتغنين للحب والفرح والحياة... وأنا أحسك مثل زنبقة هائلة تندبين زنبقة قدرية مجروحة بأشواك الورد...

منتصف ليلة ١٨ ـ تشرين الثاني

أشعر أن عوالم تزهر في داخلي، عوالم مسوخ وأشباح. وكل ازدهارات روحي شيطانية كبيرة مفتوحة الى وسعها. زهرات أقحوان تشبه ضربات فرشاة حمراء وصفراء لفنان مذهل. أنا خلقت لعوالم أخرى. أحس بعمق التفكير الذي تحس به الأرواح المختارة للشهداء ـ المحيط والفيضان واللغز في عيون العظماء والأسرار المخبأة عميقا في تجاعيد الجباه النبيلة ـ عميقاً في نفسي يتوقف الحنين الى عالم آخر أجمل من التأرجح ويبكي.

٢٠ ـ تشرين الثاني

أحس أن الشيء الذي أبحث عنه أكبر من الحب وأكبر من متعة الحياة وأكبر من العلم والبهاء وأكبر حتى من النجوم. لا تدع جناحي مشدودين في عناقك.

لست الا ظلا وابتسامة في رحلة روحي الكبيرة. عيناك هما الينبوعان الصافيان حيث تأتي أفكاري لترتوي وتستريح هنيهة. وبين نهديك تختبأ الوسادة الناعمة حيث نمت للحظة كي أستيقظ ثانية. لا تقيدينني بوثاق. ليس اللغز مخفياً في حقويك ولا في عينيك الواسعتين. وذراعاك صغيران وواهنان

ولا يعانقان روحي الداخلية. ثمة مغناطيس فوق النجوم يجذبني. وجسدي يرتعش من الداخل، ممغنطاً بـ"الحنين الكبير" و"الشوق العظيم". شخص ما يجذبني من النجوم. لا تقيديني بوثاق. الشيء الذي أبحث عنه أكبر من الحب وأكبر من متعة الحياة.

٢٨ ـ تشرين الثاني

ارتميت على الفراش مرهقاً من الحياة طوال النهار. ليل حالك يهمي وينتظر خارج نافذتي وبرقة، وسواد يتسلل حالما أطفأت الضياء. أرخيت جسدي المتعب على الفراش ودفنت رأسي في وسادة ناعمة وبسعادة ولذة أغمضت عيني.

طمأنينة وسكينة طغت على جسدي بعذوبة ـ شيء ما يشبه حسية باذخة تسترخي في داخلي: بسعادة أغمضت عيني. وفكرت في ليلة الموت العظيمة .

٦ ـ كانون الأول

غروب أبدي ينتشر في داخلي شمس تموت فيَّ، وكفن أحمر يجر نفسه مزقاً على المياه. كل شيء في قلبي يصمت في ذلك السكون الثقيل الذي يخيم على الصراعات الكبيرة والجثث العظيمة. أصداء جرس المأتم ترن في روحي ـ وأفهم، أنه يشبه الجرس في الريح عند الليل الذي يبكي بهدوء من أجل النهار الذي يموت.

١١ ـ كانون الأول

بعض جسد سري ينهار في قلبي ويموت. شيء هائل في قلبي يلفظ نفسه الأخير.

١٥ ـ كانون الأول

في بعض الأحيان احس بدافع لأن أرسم صورة لروحي. في ذلك التجمع الأبدي لـ"لاوكون" [٢٢]. أفاعي المعرفة ونوبات الألم. والصمت والاختناق الأبدي لأطفال حلمي.

٢٢ ـ كانون الأول

أحس بـ"برج جوع" شاهق في داخلي، داخل قلبي. شخص ما قد سجنني هناك مع أحلامي. أسمع الباب قد أوصد ورميت المفاتيح في النهر. أنظر أحلامي في العين وأسقط صامتاً.

الدموع قد جفت وأنا قانط وساكن والأيام تمر فوق ضياء السماء. وأطفالي ينحبون ويلتفون حولي. جثثهم الجميلة والشاحبة تتكدس حولي متسعة العيون لكأنها مازالت تتذمر. وأنا أعمى وأبحث عنهم في ليل قلبي... في ليل قلبي أب يبكي ويبحث عن أطفاله.

فجر ـ ٢٢ كانون الأول .

في(راما) كان ثمة صوت يسمع، ندب وبكاء وتفجع. كانت راشيل تبكي من أجل أطفالها ولن يغريها شيء ماداموا مفقودين.

٢٣ ـ كانون الأول

لم أستطع النوم. كابوس ـ فكرة ـ كان يضغط على صدري وعلي أن أخرج لأتنفس. أردت أن أركض، أركض حتى أتعب جسدي وأدمي قدمي وأبدو مرهقاً كي أنسى. من أجل أن لاأرى ذينك العينين اللتين تحوزان على كل هذه البراءة والعذوبة وكل هذه الكثرة من السعادة الزرقاء. العيون التي تخفي عالماً

كاملا في عمقيهما وتتذمران من أجلي، دون أن أعرفهما وأنا أسير في الشوارع المهجورة أثناء الليل تحت الأشجار، وأتأمل. وأرى أشياء لا يراها الآخرون. وأمشي وأفهم. مجهر وضع أمام عيون روحي ويسمم حياتي للآخرين عيون عارية ولايرون الأسرار. حين أنحني فوق ماء يجري صافياً ويقرقر، يقترب ظمأي يريني مجهري أزواجاً من الديدان وعدداً لا يحصى من الميكروبات ومسوخاً صغيرة تسبح وتلعب وتقبل بعضها بعضاً وتنشر مجساتها وتستقر في مكمن ما. حين اقترب من الوردة لأشمها أرى أليافها العارية القبيحة في داخل الأوراق، وأرى ألف كائن يزحف عليها ومخلوقات ناحلة تطارد بعضها البعض.

أرى شفاه النسوة الجميلات تزحف بقبلات داعرة مذنبة. أتبين التجاعيد على جباههن ومداعبات الليل والحب البذيء في المأوى المعتم لعيونهن. وحين اترك نفسي للمتعة أرى الظل الحالك للندم وألم لا حدود له يقترب ويبدأ بقهرهن. أرى ليلا أسود الجنحين يسقط متراكماً خلف عينيك، يا قدري. وفي المتعة الجسدية التي تصعق وتوهن جسدينا وفي صدى قبلاتنا وفي المنفذ الجنسي لسريرة العارف بالكثير من الأسرار ـ لا يتحرك المجهر من أمام عيوني كاشفاً لي عن هيكلين مرعبين متعانقين، وأسمع طقطقة العظام، وعميقاً، عميقاً في روحي أسمع برد ورعب القبور.

٢٤ ـ كانون الأول

آه حين أتخيلك في القبر، غرائز وحشية في حسية ورعب تنهض مثل الموجات في دمي وأشعر بالدوافع لضمك وأضغط شفتي على شفتيك وأتمسك بك بكل قوة اليأس والحب، لنكون جسدا واحداً، لنذوب كلانا في ذات لهب العناق ـ لنطبق جسدنا كله في قبلة لانهائية ونموت في الليل، في منصف الليل، في صاعقة ممتعة ـ كي لا يجد الموت ما يأخذه سوى بعض الرماد.

٢٥ ـ كانون الأول

هنا تحت القمر الذي يجرجر ألمه الذي لا يبرأ منه عبر السماوات مثل جرة مدهشة تحتوي على رماد ميت، الا تشعرين بالحافز للعجالة، نحو التمتع، ألا تسمعين بثورة حولنا تعول وتلفنا بقرب أكثر، وأكثر، نحو العظيم بحر الموت الأخرس؟

شيء يتوتر في ذهني. شيء وحشي كالجنون وكالحب يجري معربداً في روحي. صرت أخاف الجنون! عيناي تريان العمق، العمق العميق، وتبكيان.

تعالي اذن مادمنا سنموت، مادامت الهياكل قد طرحت دون رحمة تحت التراب، دعينا نعجل. تعالي، كل شيء يموت حولنا. الأزهار تموت وتذبل تحتنا، وآه كل النجوم التي تموت فوقنا! كم من المآسي القاسية الفسفورية الطلاء تدور فوق رؤوسنا ـ في الرعب الأبدي والصمت الأبدي!

٢٧ ـ كانون الأول

الطوفان يحوط العالم. يدا أم هالكة كانت تغرق، مازالتا تريان من خارج سطح المياه وهما تمسكان، يائستان، رضيعاً لتنقذاه.

ومد الطوفان يزداد ويزداد...

٣١ ـ كانون الأول

بورود وورود وورود أزين روحي قبل أن أموت. وقد يكون الليل بلا قمر وقد نكون كلانا هناك ورغبة خرساء مثقلة تسحقنا. قد يكون ضوء حبنا الأخير مثل حريق هائل وقد يتحول لون الموتى في الليل الى الأحمر وقد تظل شفتاك ثابتتان في قبلة جامدة خرساء لانهائية. وقد يعدو ذراح قبلتنا عميقاً في الليل ويوقظ حقو كل الحيوانات في أعماق الغابات ويسوقها للجنون بذرى الحب

الليلي المتزاوج، وقد يمر بالزهور ويرخي أحزمتها ويزيل كل اسرارها...

بورود وورود وورود، قد أزين روحي قبل أن أموت ـ ألم قاس ينهض في قلبي أريد ان أتمسك بك بشدة، ياقدري، يا حبي الأوحد! بكل قوة جسدي ـ مثل الحيوانات التي تتصارع في الليل في الغابات حين تلسعها نيران الرغبة في حقوها.

ألم مريع ينهض في قلبي وسعير شهوانية وقصف مرعب يلهب في عيني وضحك يرتعش ويتلوى ألماً على شفتي. روحي تشبه اولئك الذين جنوا من الحزن فانفجروا ضاحكين.

بورود وورود وورود. مادمت لا أستطيع البكاء فقد أبدأ بالضحك. ضحكي تشنج وحبي، آه يا قدري، يشبه الجنون ويشبه الكراهية ويشبه الازدراء. وقبلاتي مثل اللدغ. أتوقف وأنظر في عينيك وأتمسك بذراعيك وأحدق فيك. ولا أعرف ان كنت أكرهك وأريد خنقك أو كنت قد جننت من الحب وأريد لنا ان نتحد، وقب يغلق بوقب، في عناق ثابت عبر الليالي.

٢ ـ كانون الثاني

لا يا حبيبتي، لا تبكي. دموعك تسقط عليَّ وتحرق كل جسدي وروحي. لا تبكي يا حبيبتي. انها ليست غلطتك ان لم يواس قلبك جبيني. انها ليست غلطتك ان لم تهدهد تهويدة قبلاتك حول شفتي كل ليلة ألمي كي أنام.انه ألم الحب الذي يدحرني تماماً. انه التحرير الأبدي من الوهم الذي يتبع الشوق السعيد. آه يا براعم الأزهار المسكينة التي تغطي العري ويد الشمس اللعوب التي تزيل الغطاء لتتذوقهن وبحزم تذبلهن! آه يا وحشية ودنس الحب! نحن دنسنا أفكارنا، آه يا شونامايت [٢٤] روحي في المعابد الصوفية للأشعة الفينيقية وفي البساتين المسحورة حيث تتكشف الغرائز وتضطجع الكاهنات منتظرات وجسد عشتروت يبقى كلي القدرة، لا يقهر. روحي قد امست مرهقة ورعشة ازدراء

وعار يندفع الى الأعلى من عفتها التي بقيت لها. آه من الازدراء ومن الحقوين الخصبين!

٣ ـ كانون الثاني

آه! الأغنية قد ابتعدت ولن تعود من النجوم. لقد سقط المشد من الزهرة وساح العطر وتشوه البياض. ويسروع الرغبة قد جز البراعم. مرارة القبلات تعلق في شفتي وغثيان يهب في داخلي ـ غثيان الحب المرعب، العظيم. لا تنسجي ملاطفاتك حول رقبتي ولاتبكي. لا تهبطي للصراخ. دعي بحر القدر يعلو حولنا ودعي اللعنة الجبارة تنتشر فوق رؤوسنا. لا تبكي. زوجة أب تحوم حول حياتنا ـ مثل باز يحوم حول حمامة ـ حاسد وعنيف. كم من المرات قبلتك وكم من مرة تلويت متمتعة على الشراشف؟ أنت لاتتذكرين. أنت لاتتذكرين ولكنها تتذكر. كانت تدون وتوازن، آه يا قدري، بالقدرة العظيمة التي تحسد ابداً وتنتقم أبداً. أنت لا تتذكرين، ولكنها تتذكر. لذا فلا تبكي الآن. تعالي لمي نفسك حولنا بقوة، آه يا لبلابي القدري، البحر الذي يحوطني مايزال يعلو ويعلو. لا صلاة ولا تضرع سيلطخ شفتي. ألم قد قوى ورسم فخر روحي، وهو قد انكسر ولم ينحن. سأموت دون حراك، صامتاً دون تشنج، دون توسل. وساموت سعيداً لأنني سآخذك معي ـ سآخذك معي نحو القبر، آه يا قدري، آه ياحبيبتي.

٥ ـ كانون الثاني

جعلتها ترتعش من الرعب الليلة. قد زحفت على شفتي، جميلة وظامئة. مثل عندليب يزحف نحو عيون ثعبان. كنت قلقاً لأن أرى رد فعلها للمناجاة التي احضرتها لها. قدتها أضحك دون كلام الى الفراش. كان الظلام مهيمناً والنوافذ مغلقة. في الخارج يسمع صفير الرياح خلال الأشجار. وكان عويل

البحر يأتي من بعيد مثل تنهد يزفره صدر شاسع. كنت قد أطفأت المصباح وليس سوى شمعة كانت تكون سياجاً يبعد الظلمة من حولنا. قدتها أضحك دون كلام، الى الفراش وغطيت عينيها بشفتي. وتدلى رعب فوقنا. وحين فتحت عينيها ورأت ما يتدلى فوق الفراش، آه ياللكائن المسكين! صرخة رعب تفجرت من صدرها، وجحظت عيناها من الخوف وهما تبحلقان. ارتج جسدها كله. كان ثمة جمجمة بيضاء تلمع على مصراع أسود كنت قد علقتها كزينة. وكان في زاويتي عينيها اسرار سوداء معروفة ونائمة.

لأزال استطيع أن أحس ارتعاش جسدها بين ذراعي، آه ياقدري! انزلقت من فراشها وأخفت وجهها في يديها المرتعشتين. دموع كبيرة صامتة ذرفتها عيناها. تقلص مريع يحرك شفتها العليا وجسدها كله كان يرتعد. هكذا يتمايل القصب تحت نفس الليل البارد. كنت أنظر في عينيها، أراقب النمو الكامل للخوف. وحين انحنيت لأقبلها كي أهدئها، سقطت مكتومة عند قدمي وتشبثت بركبتي وتوسلت بي.

هذا ـ كما ظننت ـ مااعتادوه في توسل الآلهة.

توسلت بي كي أعطف عليها وأحبها فقط دون أن أعذبها. ما الذي فعلته كي أعذبها؟ ما الذي طلبته منها ولم تمنحني اياه! وهي بكت وتضرعت، يائسة. قمم الأشجار في الخارج كانت تنادي. أشعر بسوء طالع الورود، المخلوقات المسكينة، التي لا تستطيع المقاومة والصراع ـ الورود السيئة الطالع كانت تذرف براعمها في الحديقة...

٦ ـ كانون الثاني

انت لا تفهمينني ـ مازلت لا تفهمينني. ثمة فرح في ليل القبور وآلاف العنادل تغني في أشجار السرو. وضحك الجماجم حقيقي لا مرائي. في الليلة الماضية وبينما كنت أراقبك تتوسلين اليَّ ألم أخرس كان يموء تحت الآمال في

داخلي. أنت لا تفهمينني.

جمجمة الميت هي أجمل رمز للحب، وأكثر زينة فاسقة للأسرة. ألم تتولد رغبات وحشية فيك لتعانقي وتقبلي قبل أن تموتي؟ ألا تشعرين كم من الرغبات وكم من الذراح يتسلل من عيونها الخرساء والفضاء اللاجسدي الذي بين الشفاه والذي ينشر نفسه على الشراشف؟

أنت لاتفهمينني يا حبيبتي للآن، لم أسممك تماماً. حين تفهمين معنى الشاطيء، وما تقوله الكهوف في الليل، وما ترجع صداه النجوم هناك في الأعالي ولماذا هي ترتعش، حين تتمكنين من سماع نحيب الزهور والأرواح وهي تولد، حين يمكنك اخباري عن سبب ضحك الفكوك تحت الأرض. وأية أشياء ترتج وتبكي في الهواء ـ حينها سأتشبث بك كلك في عناقي وأقبلك كلك لأنك ستكونين لي كلا.

٧ ـ كانون الثاني

أخشى أن أجن. صرير غريب يرن في داخلي، أوتار سرية تتقطع في قلبي، دموع كبيرة تنهمل وتهديء عقلي. أحس بأشياء لا يحس بها الآخرون. حين أذهب الى حديقتي في الليل أعرف ما تقوله الورود ومايجيب الياسمين، وأية أشياء خجولة، يفكر ويحلم بها البنفسج. أعرف ما تقوله الألوان الرصاصية للغيوم وأية أسرار مؤلمة تصرخ بها الغربان من فوقي. وحين أسير أرتعش بأكملي لأني أحس ان عوالم تتحطم تحت كل خطوة لي، وديدان تلفظ أنفاسها الأخيرة وحشرات تموت. النجوم في الأعالي هناك تكتب رسائل بلغة، عالم آخر وأنا أقرأها ويشحب لوني وحين تأتي يمكنني أن أحس بها مهما كانت بعيدة، وأنا أرتعش بكل كياني مثل ابرة قربت من مغناطيس. أخشى أن أجن. أفكار تولد في داخلي تلتهب دون أن تسيل الضوء، وتترك آثاراً لا تزول. أغاني وحشية الجنون تتفجر خارجة مني حارقة شفتي. رغبات روحي قد طوقتني،

انها تدفعني باتجاه، الهوة، يمكنني ان أحسها. انها لا تهم. مناظر طبيعية تتغير.أطوي يدي وأسمح لنفسي أن تستمر وتعدو، وتعدو.

ماض سحيق، بحار ساكنة، أو اشجار تشهق تلك الصواعق تظل تسقط في ركامات أو قريبة من سهول خضراء أو بقع دم غريبة وكبيرة ـ مثل الخشخاش. أو على ابتعاد مهاد من زهور، مضفورة على نحو غريب، يتسم وتندس في الاكواخ المظلمة. أنا أدرك كل شيء، كل شيء. من أرق همهمة القبلات التي ترجع صداها الاعشاش في الليل، أو من تنهد الزنبق تحت القمر ـ الى التناسق الذي لا حدود له الذي يهيمن على النجوم. أرى الغوامض التي يراها الاختيار. وأمسيت شاحبا ومرضت روحي وذبلت من ظمأ الموت القدسي.

١٠ كانون الثاني

آه، لو قدر لي أن أسمو بعقلي الى رغباتي وأدعو البشر يوما ما أمامي، وأعلمهم ما الذي أدركه.

منتصف ليلة ١٠ كانون الثاني

ثمة أوقات، لاأعرف لماذا أدرك فيها أننا المهرجون للقدرات اللامرئية. ممثلون مسرحيون، يمثلون كوميديا الحياة، وتساليها. وأدرك أن الوقت مناسب لكسر تعهداتنا وتمزيق الستائر والتبشير بالعناء واللعنة والقحط العظيم. بهجة حب وايمان، عند الليل أوهام للعقل، قد صفعت في البسمة الدموية للفجر. ولاشيء آخر بقي لدينا ما عدا ارهاق ولعنة وهلاك العقل وألم الحقيقة ـ صقربروميثيوس لم يمت لأنه أبدي، لكن البسمة التي تزهر على كل التماثيل الرخامية وفي حياة أسلافنا البسطاء قد عادت اليوم الى اللغز الفظيع للفكوك في الجماجم الهاملتية. نحن نعيش، نحن نكافح، نحن نعانق، نحن نكره ـ مخلوقات محبطة ـ وفجأة تنفتح الأرض تحت أقدامنا ونسقط واحدا على قمة

الآخر، أخرس، أصفر ويائس. لا أمل. القبر ليل أبدي ـ تفسخ أبدي للعظام، للآمال، للأفكار.

آه من الغضب الممض الذي يعلو كاللعنة، مثل طوفان! آه يا للسحنة العظيمة التي تموت، والعيون الجميلة الكبيرة التي تغمض!...

١٢ كانون الثاني

لا! لن تشعري بالاشمئزاز الذي أشعر به. الغثيان الكبير الذي أشعر به ازاء القداسات. برج فخر ينهض مثل أكروبوليس في روحي. ليس ثمة من ممر يقود الى البرج، ليس ثمة من جسر يوحده مع العالم. تنتشر روحي الأخرى مع ألف طريق حر ومفتوح على وسعه للقداسات. آلاف يسيرون هناك، ذاهبون وآيبون يلوثون الاجزاء الدنيا من روحي. ليس ثمة من ممر واحد يقود الى البرج. لن يتمكن الناس من تسلق البرج.

وأنا أذهب وأعود الى البرج، دون كلام، دون فرح ودون ألم، غير مبال بكل شيء، وحيد في عزلة. غرفة كبيرة وباردة ولا يسكنها أحد. في الأسفل في روحي أسمع القداسات تصيح وتجد خطأً وتسخر. صياحها واقترابها وضحكها يصل الى برجي مثل دندنة حشرات. فأشعر بازدراء عميق لتلك الأجزاء من روحي التي لم تتصل بالعالم. و أناي تنتشر مثل بحر في داخلي وتبتسم من فرح ينبجس في عقلي: اتصال السوقة مع الرعاع لن يشوه برجي وأرضه الرخامية لن تلوث بطين خطاهم، وأيديهم وعيونهم وأفكارهم لن تدنس أقدس قداسات روحي.

١٥ كانون الثاني

أية غيوم تلك التي تعلو البحر واحدة بعد الأخرى وتستقر في قلبي؟

١٦ كانون الثاني

. أحس وكأن انسانا ما في الهواء يراقبني. عين كبيرة لا تعرف النوم، ولا البكاء. انها تنظر عميقا، عميقا في روحي. وأبدو وكأنني أتبعها. حيثما ذهبت تجذبني ورائها، دون حياة، دون وصية ومع رغبات مؤسية. انها تنظر الي وأشعر بها تنفذ في داخلي ثم تبعد نظرها الى شيء آخر ثم تنظر لما يحدث في روحي وتصمت وكأن شيئا لم يكن. وأفهم، انا دمية مرفوعة على مسرح كوني لأرفه عن قوى خفية ـ أنا خانع لليد التي تدفعني، صدى عبوديا لصوت كلي القدرة. أشعر كأن انساناً في الهواء يراقبني. واهتياج مهلك يتفجر في داخلي ولا أريد أن أمسي لعبة بيد قوى مجهولة ولن أسمح لروحي أن تبدو أضحوكة لعين لا ترحم. انها تتبعني وكانني نوع من دراما ـ أراها تجلس هناك في الرواق تراقب. أمس هربت في عتمة رهيبة في أعماق الغابة. أشعر أني سأجن. كان العرق يتصبب مني. كنت غير مرتاح. كيف تأتى لها أن تتبعني الى هنا، طفقت أحادث نفسي، كيف تمكنت من الدخول في أوراق النبتة وتعزق في روحي؟ لكنني رغم ذاك أتحسس شيئا ما. أتحسس شيئا يزحف ببطء وأناة بحركات موزعة فوق جبهتي. كانت هي ـ وارتعشت. رفعت رأسي. كانت العين ساكنة وتراقبني. والآن أرى نوعا من البهجة في أعماقها. ياللرعب! بأي اتقان كنت أقدم دوري!

٢٠ كانون الثاني

لا، لا أستطيع تحمل هذا. جسدي متعب وأريد أن أستلقي. أن أغمض عيني وأستريح. شيء ما يموت في داخلي خلال النهار، عرق يتكسر. لقد شققت وحرثت جبهتي بنظرتها. في الليل حين أستلقي نائما، يبدأ أول الأمر نوع من الظلام ينتشر أمامي. وأشعر به يرفرف هناك في مكان ما. وأرتعد أغطي رأسي وأخفي وجهي وأرى. ظلام يواجهني، عريض كالبحر. كل شيء يصمت كأنما

في انتظار انسان ما. وببطء، ببطء تشرق شمس الظلام. شمس غريبة، دون أشعة، دون دفء ـ أسطوانة فولاذية شاحبة الضياء ـ العين. أرتعد. أستيقظ مترعا بالرعب وهناك تجلس العين على ظلة الفراش البيضاء في مكانها المختار تراقبني دون حراك.

٢١ كانون الثاني

لا ترتعشي حبيبتي. أنا حبيبك. لا تخافي الظلمة. سنغلق نفسينا هنا معا. لا أحد سيتمكن من الدخول. سانير المصباح الصغير بالظل القرمزي ليعطي توهجا ورديا للشراشف، ذلك لأن بياضها يهزني. انها أشبه ما تكون بالأكفان.

آه، حين أدرك أنني يمكنني أن أموت ساعة أبتغي، فرحة وحشية تفيض في "أناي" أحس بقوة كلية في يدي ـ وأبتسم.

أعانقك الآن بثقة وحب مضاعفين. ستبقين مخلصة لي أبدا.

سنتعانق، كلانا، لا نبالي بأي شيء، لن نستمع لشيء، ستمر القرون من فوقنا عبثا، وكذلك عداء الناس لبعضهم وضجيج الحياة. سيكون العناق مقرفا في الأسفل، أعرف، لكنه سيكون أبديا. وستكونين قريبة مني دائما ولن تغادرين، وحين تنهض الجثث في منتصف الليل لن تتمكنين لأن ذراعيك مشدودتان بذراعي ولن يرى أحد الحب والرعب لأنهما يحتفلان هناك في الأسفل.

٢٣ كانون الثاني

بحر لا نهائي. ساكن وعميق، دون موجة واحدة، أو لمحة لشاطىء. السماء مثقلة بالغيوم. لا نورس يحلق في الهواء، لا سمكة تهجع في المياه.

في الوسط فقط، قارب في وسط البحر، ذو شكل غريب ـ مثل تابوت ـ

يتحرك فوق المياه، دون شراع ولا مجاديف ولا دفة ببطء ببطء يتحرك في المياه، والماء رائق يرى حول القيدوم الذي يقطعه بصمت. وكأن يدا خفية من الأعلى تدفعه. وآه يا حبيبتي، أشعر أن كلينا في القارب، مستلقين جنبا لجنب، وصليب شمعي في أفواهنا - جنبا لجنب - ميتين.

٢٥ كانون الثاني

قد تهاوى عالم في داخلي. الآن وبعد حين تبقى روحي شفافة. انحني فوقه وأنظر في أعماقه ذلك الرخام الآبيض العظيم المحطم والمتكوم في ركام تحت قبب معابدهم المحطمة. أعمدة القصور الملكية قد مالت وتشققت، والمياه تنز وتنحت وتنفذ من الرسوم المدهشة العظيمة. ولم تعد الأجراس تدق. الحدائق التي فيه ذبلت وكفت الطيور عن الغناء. ليس سوى بيوتات فقيرة وصغيرة. بعض الأعمدة الرخامية ما زالت منتصبة. وفي كل يوم أرى طرقه وأصداء مراثي في قلبي وأقول لنفسي، وأنا هادىء، دون حراك ولا أمل لدي: عمود من الرخام يهوي.

منتصف ليلة ٢٦ كانون الثاني

أجلس هنا أفكر حول الطيور القدرية التي تزحف مسحورة باتجاه عيون الافعى. انها تثبت عيونها على طائر ويبدأ الطائر يرتعش في الحال لكأنه أصيب بنوبة صرخة هلاك ورعب تتسرب من حنجرته ويدرك عابر السبيل أن أفعى قريبة منه. الطائر المسكين يجري تحت الغصن محاولا الهروب، لكنه يظل يسحب مقتربا. تلتف الأفعى حول جذع الشجرة شاخصة عينيها بسكوت. ويظل الطائر يسحب مقتربا ومقتربا ويسقط في الأخير في فم الأفعى المفتوح.

أجلس وأفكر وأبكي من اجل الاشياء التي تجر نفسها مسحورة ويائسة نحو الموت.

٢٠ شباط

امنحيني عينيك التي قد أقربها من شفتي لأمنعها من النظر الى الأعلى. دعيني أضع يدي على جبينك لأهدأ فكرك. تعالي اتكئي علي، انه أنا الذي يستحق قبلاتك وهو أنا الذي يستحق حبك، آه ياحبيبتي! تعالي الي ثانية كما فعلت سابقا، فقد نعدو سوية يدا بيد على ممرات حبنا المنثورة بالبنفسج. تعالي شفتاي ظامئتان، الليل جميل، والقمر الفضي أكثر لمعانا، والنجوم أكثر فتنة. تعالي، أنا حبيبك. سنذهب الى حافة شاطىء البحر، سنجلس على صخرة واستلقي بين ذراعيك. سأصغي الى تناغم همهمة البحر المتساوقة مع ترنيم قبلاتنا.

أشعر أن الهاً في داخلي يرمي سهاما على أحلامي. أشعر أن دما يجري كنهر في داخلي. وصوت التنهدات الغريبة الجريحة في روحي.

اريحي خدك على خدي، حاولي أن تكفكفي دموعك، لا تدعي قلبك يحطمه الألم، واصغي: أنا عازم على أن أصب كل حبي جزءاً فجزءاً في شفتيك.

أعرف جزيرة تعلو هناك، أنت ترينها، لكنني اراها ـ حيث السماء تقبل البحر. اذ من هناك يعتلون السفن ويعبرون المياه ويأتون ليجدوني ـ تلك أنغام أغاني العشاق اللانهائية التي تدق في منتصف الليل وتسير عبر الأمواج وتصل قبلي. أشعر بها تدخل في متضرعة.

انها تنسج نفسها بشدة حول روحي وتعزف سريناد بكلمات غريبة، آه وأية غرابة، وتجرها الى طريق تلك الجزيرة المتناسقة هناك. أذرع بيض تبرز هناك في الأمواج، ألا ترينها؟ انها تدعوني لأذهب وعينان كبيرتان جميلتان تنظران الي تدعوانني... لا تبك يا حبيبتي، لا. كفي عن الأنين وأصغي لكل حبي. لا تقولي أنني مجنون. انك لا ترين، لكنني أرى.

قارب غادر الجزيرة وببطء جاء يلمع نحونا معتليا البحر، ليأخذنا. تعالي يا حبيبتي سنستلقي في ذلك القارب، ستنفخ رغبة الأشرعة، وسيمتد الهدوء العظيم فوق الأمواج، سأنسج ذراعي حول رقبتك، سأطلب شفتيك وسننغمس في النوم. هدير الحياة هناك على شاطىء البحر لن يربك عناقنا بعد الآن. الاتصال الفظ مع العالم لن يلوث حبنا بعد الآن. سنكون لوحدنا على البحر منغمسين في أغنية متناغمة ستسمع من الجزيرة المسحورة وستدفع الأذرع البيض القارب وستقود العيون الكبيرة الجميلة الطريق باستقامة. وسنوصد العصور في قلوبنا. وستلتف النجوم حولنا، وسيمسي العالم ميتاً، وستقيد التعاسة وتقتل، وسنستكين، عشاقا وسيهدأ بحرنا وتمتلىء أشرعتنا بالهواء وستتوهج العيون الكبيرة مثل القمر لتقودنا باستقامة وسيسحب قاربنا أبداً نحو الغموض والتناسق.

٢ ـ آذار

أنا في طمأنينة.

أنا في طمأنينة لأنني دون أمل.

٢٥ ـ آذار

أنا في طمأنينة، في طمأنينة ـ كفن ألقى بنفسه فوق روحي، يد خفية تدفعني والصوت الثقيل لشخص ما يتحدث ويأمرني في داخلي. شخص ما تكلم في داخلي وأنا أطعت. وأنا ركضت الى منزلي في القرية بعيدا عن الناس. وكتبت اليها لتأتي الى هنا حيث سيكون حبنا عظيما وساكنا مثل الجبال المحيطة.

أنا في طمأنينة تامة. أجابت بسعادة أنها ستأتي. انها تأمل أن حبي سيينع هنا في الجبال والخضرة، وأن شفاهي لن تنطق تجديفاً بعد اليوم، بل ستقبل ليس الا. ستأتي مبتهجة.

أنا وحدي. جلبت كل رسومي وعلقتها على الجدران: الاقحوانات والتصميمات الغريبة والشموس التي تغرب.

أنا في طمأنية، وفي طمأنينة تامة. والصوت يسمع في روحي وأنا أطعمته ـ ركضت سريعا ـ دفعتني يد. أدركت انها ذات اليد التي دفعتني حين رأيتها أول مرة. وهرعت الى الحديقة وجمعت وروداً على قدر ما أستطيع. كان السرير مدفونا بزنابق وورود. الأرض من تحته مغطاة بها. طلبت زهورا أكثر. فاح عطر مركز وضغط على صدري ـ مثل موت معطر. أغلقت النوافذ والأبواب.

أنا في طمأنينة. في طمأنينة تامة. بهجة غريبة تنهض وتسقط في صدري مثل نشيج. ورغم ذاك أشعر أنها البهجة ـ ربما كانت عظيمة جدا الى حد أنها تخرج من حنجرتني. ستأتي، سأغلق النوافذ، ستهتز بالعطر، سأعجل في غلق الباب وأركع أمامها وأطلب شفتيها. آه لست مجنونا! لست مجنونا! سألف نفسي حولها وأطلب منها قبلة أبدية.. آه يا قدري!... أحس كأنني لن أستطيع مقاومة ألمك ان كانت عذوبة الموت لا تصب مثل سلطة عليا في روحي. آه يا رحلتي العظيمة! أشعر أن سعادة مجنونة تصطخب في داخلي، نائحة. لقد أوصدت كل النوافذ والأبواب. ان لم يجذبنا شذى الزهور الى طمأنينة أبدية ـ فلدي ـ كملتجأ أخير، سم ثمين يجلب البهجة الأبدية، الفرح العظيم، دون ألم.

أنا في طمأنينة، في طمأنينة تامة. أجلس في حديقة منزوعة الأوراق وأتأمل. أنظر عبر الممر الأبيض حيث ستظهر، ضاحكة، في ذلك الجسد المرن وتلك العيون الصافية التي ربما تتمرى فيها الآن خضرة الحقول الهادئة.

في الليل، الممر الذي سيجلبها يشبه أفعى راكضة ملتوية وقد توقفت عند قدمي.

أنا أتامل. في أوقات نومي أرى حلما مرعبا، وسكونا غريبا يخطو نحوي، وأدركت: انه حلم... لو رغبت لاستيقظت بحركة عاجلة من جسدي

وهربت. وأتأمل. أيمكن أن تكون كل حياتي حلما غريبا؟ أيمكن أن يكون كل هذا الحب وكل هذا الرعب وأمل الموت أشياء أراها في نوم كبير وأخيرا، الليلة، الآن أجلس في هذه الحديقة المنزوعة الأوراق أنتظرها، وقد قررت بحركة عاجلة من جسدي أن أستيقظ وأهرب من الحلم؟ أتأمل: هل الحلم بداية فقط، أم هو نهاية فقط؟ آه، لكم يؤلمني شيء في داخلي! لكم يؤلمني قلبي! أفكار يائسة تمزق فكري مثل خطوط مضيئة وفي وهجها أرتب لأتبين ذكريات من العوالم الأخرى، بعيدة، ذكريات بعيدة لأطلنتيسيات غارقة!...

البحر الهادىء، اللانهائي يتسع أمامي. بنفسج يهبط من السماء بصمت ويصب غربا. نجمة الحب تبتسم فوق المياه. أشعر أننا لوحدنا حبيبتي، في قارب صغير له أشرعة سوداء متفحمة، مثل أجنحة غراب. نجذف بأسى، بأسى نحو قدر مجهول، نحو الغرب، عيوننا شاخصة على الذهب والغيوم المدماة حيث الشمس تموت متريثة.

أجلس وأتأمل في الحديقة المنزوعة الأوراق. بدأ الليل ينسكب على الأشجار. النجوم تتهيأ للتفتح في السماوات. الفرح ـ المتحول ـ حزنا يتوقف الآن في حنجرتي. البحر يغني عن بعد شهوة الموت. لهب غامض يسحب النجوم في السماء. سكينة تنتشر فوق كل القمم، والأوراق تتحدث أبدا برقة أخاذة وهي على الأشجار...

آه يا قدري! آه يا قدري! أشعر بدافع للهرب والاختفاء في أعماق الغابة وأنام على الأرض وأدع دموعي تنهمل، أدعها تنهمل من أجلك، الدموع التي لابد وان عرفني قدرها المحتوم!

هنا تنتهي يوميات قلب صديقي السيء الطالع ـ الفنان الكبير ـ كتبت متفرقة على صفحات غير مترابطة في كتاب انفعالي منجرفة.

جاء الخادم في صباح ما، مذعورا ودعاني لأن أسرع للذهاب إلى منزل صديقي. وحدست أن كارثة قد حدثت لأنني أعرف صديقي وأحبه. اقتحمنا

الباب إلى الغرفة وأربكنا عطر زهور خانق. فأسرعت إلى فتح النوافذ والأبواب.

مشهد مريع! لقد زحفت ببطء نحو النافذة لفتحها بالطبع. الزهور عند قدميها تحت النافذة سحقتها الأقدام، أصابعها مدماة. كل شيء يشير إلى أنها جاهدت بيأس كي تفتح النافذة لتتنفس، لكنه لم يدعها.

وسقطت، شاحبة ومرهقة - ومزقت الكراهية وجهها الجميل البريء. جسدها اللدن قد وقع بيأس جثة على الزهور. أما هو فقد تمدد بابتسامة هادئة الى جانبها راميا ذراعيه حول رقبتها في ايماءة حب لا يمكن التعبير عنها.

وفوقها علقت صورة غريبة تبين السبيل الكئيب الذي سلكه عقل الفنان الحاد الذكاء في آخر اللحظات.

ثعبان هائل قد امتد يركض فوق رمل صحراء شاسعة حيث لهب شمس حمراء تغيب مدمية السماء وفي فمه الذي يقطر منه السم كان يمسك ويقبل ويعض زنبقة صغيرة بيضاء متصلبة وذابلة.

مرض العصر

لو عدنا الى سني طفولة الانسان لما وجدنا أثرا لهذا المرض. كان الناس الأولون بسطاء، قلوبهم بريئة وصافية، رسمت أرواحهم بخطوط عريضة. الطبيعة مفتوحة مثل أعجوبة تبتسم لهم. كل شيء عذري وحي لهم. لم يكن فن التفكير قد تطور بعد ولم يسمم كل البهجة ولم يستطع بعد أن يجد البطلان والألم تحت البراق. لم يمس داخل الانسان بالملاحظة السيكولوجية الحادة الذهن، والتحليل والعلم.

تفتحت الروح تدريجيا ورأت العالم بدهشة وابتسمت. شعب بطرياركي بسيط يسيح نازلا في السهول من هضبة التبت الشامخة وأكواخه على طول شواطىء البحيرات وكهوفه عند أقدام الجبال، وخيامه المترحلة على رمال الصحراء.

عواطفه بسيطة، صريحة وبريئة. لم يكن الحب مزوقا، بل كان بدائيا ومايزال غريزة.

كل شيء اذاً كان صريحا. الرب ينزل من قمم الجبال. تهبط ماتا من السماء، وتتفجر الينابيع من الصخور. آلهة يهبطون الى الأرض ليتحدوا مع

بنات الرجال. الرجال يصعدون الى السماء ويتحدون مع الالهات. تتصل السماء بالأرض بواسطة سلم البساطة السحري. كانوا بالتأكيد قريبين جدا في تلك الأيام الى درجة ان الابقار كان بامكانها أن ترفع رؤوسها وتلعق السماء بألسنتها.

الشمس الجبارة اللاذعة الساطعة التي تعمي الابصار لم تشرق حينئذ.

ضوء معين يتسم في كل أعمالهم الرخامية وكل أفكارهم. الصراحة التي نتكلفها ونرائي بها لم يعرفوها بعد. انظر الى بارثيون هيكل الالهة أثينا. انه نزيه ومضيء. اقرأ مها بهاراتا الهندوس. الحبيب يشرب شفاه حبيبته كل الليل، وفي مكان ما يقول العناق كان فظاً على نحو شديد. هذا هو حب الانسان القديم. اقرأ نشيد الانشاد الى الجميلة شونامايت . لم يكن الحب خطيئة وله الحق أن يكون نزيهاً. تتنهد سافو أول امرأة مثقفة في التاريخ في الليل بسبب أنها لوحدها ولاتتردد في القول:

القمر أيضا قد هيأ

بنات أطلس(*) انه منتصف الليل

الساعات تمر

وأنا مستلقية لوحدي.

ومدحورة بالحب، تثب مهتاجة مبتعدة عن خيوط نولها وتقول لأمها:

لا أستطيع النسج على نولي يا أماه

فأفروديت الليل تسحقني بالرغبة.

---

* بنات اطلس : الثريا.

ان هذا الصدق، وهذه الصراحة، وهذه المتعة والادراك التام للحياة لا مثيل له! كل الاشياء الجميلة هنا في العالم. أما في الأسفل فليس سوى أشباح وأجساد ميتة في مروج من الدفلى. كان أسعد لأخيل لو أبدل موضعه كملك في هدس ليكون عبدا على الأرض. كان يكفيه أن يرى فقط ضوء الشمس الساطع .

لقد وائم الاقدمون تماما بين متطلبات الجسد ومتطلبات الروح. ولم تتم موازنة كهذه في التاريخ. من مبنى الالعاب الرياضية، الى اكاديمية أفلاطون من كنوسوز عمل سقراط طريقه نحو جبل آيدا، معلما، ومستلهما للقوانين[١].

ان محاورات أفلاطون، كما تبدو لي، صورة مصغرة للعالم الهيليني. أرى كل جزر الاطلسي الغارقة تنهض من أمواج السنين الغابرة بطريقة ـ أتذكر؟ ـ بالطريقة التي نهضت بها فرين في يوم ما من الامواج السارونية ، جميلة وعارية أمام كل الهيلينيين ـ هي الأكثر خجلا وهي الاجمل من كل الهيتاريات[٢]!

ان دين الجمال هو الذي كان متسلطاً. كان أبولو ـ الوسيم كبير الالاهات التسع الشقيقات اللواتي يحمين الغناء والشعر والفنون والعلوم ـ تجسيدا للروح الهيلينية. في صقلية مدينة سيجستا شيد معبد لمواطنها الأكثر جمالا. حيث كانت تقام مباريات للوسيمين بين الشباب والشيوخ والفتيان. في ميغارا كانوا يقيمون مباريات تقبيل بين المراهقين، كما يقول ثيوقريطس، كل من يطبق شفتيه على آخر في أعذب ما يكون تهدى أمه تاجا مطعما .

هكذا كان العالم الاغريقي. لم يكن الحزن معروفا. لم تشوه المشاكل الكبيرة الروح بالألم بعد. انظر كيف تبتسم كل معابدهم وكل تماثيلهم وكل أفكارهم!...

مثل كل الاشياء الجميلة ـ مات العالم الاغريقي سريعا. مات في الهدوء فوق الانساني واللاانساني للرواقيين في مختلف مدارس الهستريا واليأس، في الفساد الفاحش لأتباع أبيكورس Epicurus. مات أبولو، الاله الجميل، ابتسامة

الأولمب. ومن المشرق ظهر ابن العذراء. سيد المرض الروحي، لهذا العصر. فحتى وقت مجيء المسيح، كان الانسان يقدس الحياة والأشياء الجميلة في هذا العالم. أراد أن يكون جميلا موفور الصحة وشابا وغنيا. أراد أن يتمتع بالحياة وعرف كيف يتم له ذلك.

ظهر يسوع ـ صورة شاحبة، مسند بالشموس الفلسطينية المتقدة، في السكون والهدوء الحلمي لبحيرة جينساريت.

صعد الجبل مرة، رقيقا ورائقا وجميلا، وتبعته البشرية. مباركة أرواح الفقراء قال ذلك مبتسما. مباركون هم الجياع والظامئون. مباركون هم المفجوعون .

صعد الناصري الشاحب الى بارثينون وأطاح بآلهة أبولو الجبارة وآرتميس، وابتسامة افروديت وانشراح دايونيسوس ـ وأطفأ ابتسامة الآلهة التي لا تنطفىء

وانتشرت سير القديسين (الجزء الثالث من التوراة) عابرة فوق الرخام: مادونات منتحبة شاحبة، قديسون في استشهاد، جسد دموي ومريض.

روائح بخور عبقة راحت تضوع في العالم. وذبلت الورود، ونمت قوية أشجار البان والنخل والسرو والصفصاف.

جلب الحب والطيبة والتواضع للعالم. بلى. وجلب أيضا الألم الذي لا براء منه. جلب الحنين الكبير والانشغال الابدي بالعالم حيث لا أسى، جميل ومبارك... لكنه غير موجود!

أحبوا أعداءكم. تعالوا اليّ كلكم أيها المثقلون وسأريحكم. ستسامحهم، التي تسمع لأول مرة؟ أي عالم مطمئن قد تحولت نحوه تلك العيون اللازوردية الكبيرة بانتباه؟

لايهم. لقد سمع الانسان وأغري

منذ تلك الساعة، لا فرح ولا متعة!

كان وقت الثياب الشعرية على الجسد، رماد على الجباه، ركوع، صلبان متوالية وقهر الطبيعة القاسي هناك في دير رمال ليبيا وفي الأديرة الضخمة الصامتة ذات الأبراج.

كان الجمال خطيئة، والمتعة ليست أكثر، بعد هذا، من صلاة. كل تلك الطوابير من العذارى ذوات الشفاه الشاحبة التي لم تقبل تمر أمام عيون روحي... عذارى متن من دون أن يصبن من رعشة الحياة العظيمة شيئاً،أجساد بيضاء وقاحلة. أزهار تذبل تحت ظل الصليب...

أية ملامح درامية كشفتها لنا تلك الجدران المحطمة للأديرة الكبيرة، وأي يأس مغطى بالصخور المغطاة بالعشب في المقابر!

وأنت تموت. يوارى جسمك تحت الثرى وتنتظر. بيدين متصالبتين، وصليب من الشمع على فمك، تضطجع هناك، منتظرا. ولا تسمع أبواق البعث. وتتأخر الملائكة بالمجيء. وأنت تنتظر. وخلال ذلك الوقت تتفسخ وتعود الى الأرض الأم وتتحول الى استحالة يائسة ومرعبة للمادة العضوية. وتنشر دون أنا في التربة كسماد، والزهور التي تزدهر من جسدك تمرح حولك.

ويصبح الرجال حالمون ويمسون مرهفي الحس.

تتخاذل الروح نحو الصوفية والنشوة الدينية.

الحسية والنشوة واللذة، هي عواطف لم تعرف في العالم القديم، الذي وازن وقدر العالم والذي عرف ما أراده وكيف. عرف القيمة التي لا تقدر بثمن لفتنة هذا العالم.

وجاء البرابرة من الشمال الى أوربا المتحضرة ليدمروا صروح الفن، رافعين اللامبالاة حتى العرش. وجاء الفاتحون السابقون مجرجرين مدحورين الى الدير متأسين لخسارتهم. ثمة حاجة ـ غير معروفة في قدمها ـ لهم ليوصلوا هواجسهم لأناس آخرين. هم بحاجة لمن يتكؤون عليه، لقلب يحس بهم. غير قادرين على

المسير خلال الحياة لوحدهم، تنقصهم الشجاعة، وتبحث أرواحهم عن رفاق، أصدقاء، رجالا أو نساء، وتدريجيا ولدت عاطفة جديدة ـ هي الجنس (ايروس).

ايروس العصور الوسطى كان يحب (أغابا) الروح، الممثل الخيالي للحبيب ـ انهم يوحدون الحب مع الورع الصوفي، النشوة الدينية والرقة الأنثوية. عشاق شاحبون ذوي ظفائر طويلة يتجولون، دون حياة، دون رغبة ودون جرأة... التربادورز وشعراء الملاحم البطولية توصلوا الى نقطة عبادة الغريزة التي تدفع الرجل نحو المرأة، يطارد دون كيشوت معشوقاته اللائي لا وجود لهن، وفرسان يركعون أمام قصر سيدات هائمات، ووحيدات، يعانين من السقم والعقم يذهبن ويأتين في غرور في الاروقة الكبيرة للقلاع دون بهجة ودون عذاب.

وشيئا فشيئا يهلك بارثيون وتفسد صور رخامية وألوانها غير المصقولة ذات البياض النقي. وتولد الصوفية الحالمة في الغرب ويشاد المعبد القوطي. لكأنك تشعر أن الرجال لا يدخلون معبدا كهذا بقلوب حمراء مفتوحة، وجباه هادئة مرفوعة. فالإله لم يهبط هنا ـ كما كان في وقت آخر في القداسة الرخامية لبارثيون. ليس للانسان هنا سوى أن ينحني، منتصرا وعلى ركبتيه يتوسل العظيم الواحد، المعاقب على الذنب الذي لا يعرف الصفح... من أجل تلك المخلوقات التعيسة، النساء الجميلات اللائي تحتم عليهن أن يسجدن على القرميد البارد لتلك المعابد القوطية يندبن خطايا تلك الطبيعة، التي تصفح عنها الالهة الكبيرة والأم وتبررها وتداريها.

شيئا فشيئا يجيء نوع من الحزن للنفس البشرية، توق غير طبيعي لعوالم ميتافيزيقية، حدس مخيف ومرعب من الجحيم، ومن العذابات في الحياة الأخرى ـ يقترب البعث الثاني والارواح ترتعد ـ يدعو الأنبياء الناس العاصين للندم، أبواب الدير مفتوحة على وسعها، والانسان المرعوب الشاحب يحشر نفسه في الداخل وينتظر. نيران التساؤل تنير في السر ليل العصور الوسطى.

وظهرت تحفة تلك السنين ـ قصيدة دانتي ـ مثل معبد قوطي مؤلم ومظلم ويائس.

في هذه الليلة بزغت روح اليونان القديمة من جديد كي تضيء وتنقذ. حين هزم الاطفال المنحلون البيزنطيون ملكة المدن، حاملين معهم الجواهر والايقونات، أخذوا أيضا أفلاطون وهوميروس وبلوتارخ.

وأنار الضوء ايطاليا وانتشر من القمم نحو السهول المظلمة كي يفتح القلوب والشفاه والأفكار. وحرر الفكر من اللاهوت، وسحب أفلاطون أرسطو، وارتفع ايقاع النهضة بعظمة، المحبوبة فورنارينا في الجميلة مادونا والملائكة الرائعة الجمال التي تبتسم الآن لهبوطها من السموات، وتحس أنت كأنها نزلت لتستريح وتهنأ...

حرر بيكون والديكارتيون ولوثر وايراسموز الفكر. تبع ذلك أناقة في الكلمة وفي السلوك ودوقات جميلات ونبلاء يتجولون حول العرش، مسرفين في المتع في بعض الاحيان، مدعين في احيان أخرى، ولكنهم دائما رائعون. وتزداد ارستقراطية النظام الملكي شيئا فشيئا. الحاشية تقلد العائلة المالكة. والجميع يقلدون الحاشية.

وعزلت النخبة نفسها عن الناس وحوطت القلاع بخنادق مائية كبيرة.

أهمل الناس وازدادت غطرسة النبلاء يوما بعد يوم، وازدادوا فسادا وخلاعة.

ثمة علامات لاهتياج. ثورة هائلة تنمو بصمت وتكاد تنفجر ـ مثل هزة أرضية تكبت ذبذباتها في أعماق الناس.

ويحرر أول انسان نفسه من اللاهوت.

يتمرد ضد بذخ وثراء المناصب الكهنوتية ومواعظ الاصلاح التي لا قيمة عملية لها. يرمي الهوسيتز أنفسهم في النار. لا يهم. في وتنبرغ يحرق لوثر صك البابا. كان الناس على استعداد تام ليفهموه. وينتصر لوثر.

منح الانتصار الأول الشجاعة والثقة. لابد أن تتغير أحوال المجتمع وطبقاته. روح للتقدم تغلي في النفوس. وزاد تردد الذبذبات، أعمدة الضياء تسطع من جباه معروفة، على أمل أن تشرق شمس، والجميع مشدودون بقلوب نافذة الصبر نحو البزوغ العقلي للعالم. وانظر! يا للروعة، لكم هو مروع ودموي، يتفجر بركان الأرواح في فرنسا. تتوهج البشرية جمعاء. عبر الدم والمشانق، مع دانتون وروبسبير ومارات في القيادة تقدم الناس نحو الحرية والضياء.

متساوون جميعا. هكذا لأول مرة يصبح الانسان واعيا لحقوقه ولرسالته وقيمه. أضاءت ليلة ٢٦آب العالم. وربح البرجوازيون انتصارهم الأول. لماذا لم يظلوا يجرأون على فعل كهذا؟ تجرأ وتنجح . وانفتحت الاقفاص الموجودة في روح كل انسان، تحررت العواطف وكذلك الطموح وشهوة القوة، ومتعة القهر، وبهجة الانتصار مهما كانت الوسائل التي تؤدي اليها.

ان بطل العصر الحديث ليس هو الرجل النبيل، ولا سليل العوائل الراقية، ليس الشاحب وليس الارستقراطي المتفسخ صاحب الصالات، بل هو الانسان الشاب المنعزل في متكتبه أو المنحني فوق كتاب دارسا أو كاتبا، انه الرجل الذي يصرخ هناك ويعمل ويقاتل ويربح.

ليس ثمة من حدود لرغباته ولا ارجاء. انه الشخص الذي ينطوي تحت عناء الحياة ساقطا على الأرض ويوطأ من قبل الآلاف الذين يندفعون خلفه. ليس ثمة من متاريس. الهدف هو متعة الذات، الغاية تبررها الوسيلة. تسمى متعة ـ الذات الجاه او الثروة أو السلطة. لا يهم. انسان العصر الحديث لا يعرف الحواجز. انه يظن ان بامكانه ان يكون كما يشتهي. فما الذي لا يرغب به انسان القرن التاسع عشر! نيتشه في الفلسفة وبسمارك في السياسة، هما العظيمان، نبيا تأليه الذات الدائبان.

من البساطة والبهجة للعالم القديم، من التقوى والورع والايمان للقرون الوسطى، ننتهي الى الفكر الشهواني في الازمنة الحديثة.

كل شيء ينحرف، كل شيء في تدفق. نجد أنفسنا في عصر متحول، في قرن مهتاج. لا تعرف الروح اين تحط رحالها. هزات أرضية لا تنتهي تهز قناعاتنا. لسنا قادرين على عشق الاشياء التي عشقها آباؤنا. انهم اشباح. وفي اعتقادنا أن مخاوفهم وآمالهم خرافات. لذا تفسخت لدينا قيم الحب والاخلاق والتقوى والفضيلة.

وكانت الجثة الجميلة لـ«الناصري» قد دفنت ـ ليس منذ زمن بعيد ـ في المقبرة التي ترقد الآلهة فيها. الناقد ينحني بلا كلل ويتفحص مشرحا دؤوبا للخيال، ينحني ويفحص: الدين عالم جميل، لكنه غير موجود. الحب غريزة طفولية عادية، انجذاب كيميائي للأجساد، كما قال غوته. براءة أو ادعاء أو بلاهة. المرأة ليست أفضل أو أسوأ من الرجل مطلقا. الصداقة ليست لها وجود.

وفي بقايا كل هذه الارواح ـ تجذرت البذور التي نثرتها المسيحية قويا فينا وأزهر مرض العصر.

وولد جيل العصر الحديث: ورثر، فاوست، مانفريد، رينيه. ورثر العاطفي والكئيب المنتحر. فاوست، النهم الدائم التوق. مانفريد الثوري الكبير، الناهض مثل جبار متسائل عن أية نهاية قد بعث اليها ولماذا. حين أرى العالم من حولي والذي أظهر فيه كهباء هكذا يقول بايرون، أعظم ضحية لمرض العصر، «تنهال على الافكار وقد أشك بذلك، يتوقف التأرجح عبر العالم كله» .

وبلا طائل يخفي رينيه حزنه في غابات أميركا.

تمرض جباه القرن العظيمة منحنية وتتأمل. الارواح الجميلة مجروحة تغادر الـ«بالاسترا» (٣). يصبح ألمها أغنية والبشرية في وسطهم، كذلك مرهقة، تتجمع حولهم وتصغي: انهم يغنون عن حزن الجباه والألم الذي لا شفاء منه.

ليس ثمة من اغراء قد بقي. نحن نعرف كل شيء. طعنت شمس الحقيقة كل أشباح الصباح، كل الغموض من الاشكال الجميلة والانحرافات المبهجة للأجسام الوهمية. لقد فضحنا كل شيء. لم يعد زفيروس عاشق كلو، لم يعد القمر المتيم

يبحث عن «أنديمون» على الأرض. لم تعد ينابيعنا وغاباتنا تخفي «ناياد» و«دراياد». الوهم شيء عابر، والألم أبدي . نحن نعرف ما الذي تمنحه شفاه النساء ولماذا تحمر خدود العذارى. ونعرف كل الاسرار الحيوانية لسرير الزواج والحب الليلي.

ان الأسلوب الذي يتطور فيه الانسان هو شيء مذهل. انه يعرف في عمر مبكر ما لم يعرفه شيوخ الجيل الماضي. وبينما هو صغير ينكب على الكتب ويتسمم بالرغبات الكبيرة والظمأ الهائل للروح الجديثة... كيف يمكن لأي شخص اليوم أن يفهم البهجة الساذجة لأحد الأسلاف؟

لقد أمسينا متعبين من كتب الحكمة، الشعراء يأتون ويذهبون ويتركون دموعهم وشكوكهم، وتعبنا من القراءة والتساؤل وانتظار الأجوبة.

من يمكنه أن يحب، اليوم، بالاسلوب البهي لآبائه، ببهجة كأسلافه، بعد أن يرى بتفاصيل غزيرة كل غوامض الحب في الكتب والتحليلات النفسية للكتاب الحديثين؟

حين أذهب الى الكنيسة أعرف ـ هكذا يقال لي ـ ما الذي يخبأ في المذبح المقدس، بماذا تفكر عيون القديسين، ولماذا يذهب الرجال ولماذا تذهب النساء.

ان انسان اليوم يعرف كل شيء. انهم لا يتركون شيئا عذريا في أرواحنا. القوة والعلم والمجد لن تكفينا. نحن نبحث عن شيء آخر. ما بعد الخير والشر ثمة غموض يسحبنا.

الأرواح الكبيرة للعصر الحديث قلقة.

انها وضيعة فاسدة. تخلى أصحاب ادغار الن بو والفريد موست عن أنفسهم للخمر. وسقط أصحاب أوسكار وايلد في الغسق، ويجد أصحاب بودلير وهيزمان متعة بالغة في العواطف الداعرة، وانغمس أصحاب سويفت ونيتشه وغي دي موبسان في السفر والنساء وماتوا مجانين، ويتمرغ أصحاب توماس دي كوينسي في عشبهم.

لا الطمأنينة ولا السعادة ستبتسم ثانية في الغسق بوساطة الروح المعرفية للانسان الحديث.

لماذا يكثر الناس من السفر اليوم، ويجوبون العالم والبحار ويموتون في الصباح؟ انه قلق الروح الحديثة. انه غياب السكينة في البيت الأبوي، حيث الأبوان المسنان يعيشان ويموتان هادئين لا يهتزان. كل العواطف أسيء استعمالها، لقد ارتبطت بقوى دموية، ارتبطت بالفحش، بالجنون، لغرض التجديد، لغرض متعة غير معروفة، لاشباع جوع الروح الحديثة. تذكر الساديين والمازوكيين الذين يخلطون الدم والاعجاب الاعمى مع الحب. انه المرض العضال للعصر الحديث، الوباء الكبير في الارواح الرقيقة، المرهقة الارستقراطية.

يقول بسيهاريس[٤]: نحن لا شيء، لا اذرع قوية ولا رؤوس مرفوعة، بل أقدام متعبة ومجروحة .

لسنا الا أقداما متعبة مجروحة. قدرا صلبا وقاسيا نحمله على جباهنا، تشبه روح الانسان أوديب التعيس للعصر القديم. انت تذكر كربه وهلاكه لتتعلم - لتتعلم من هو، أية جريمة قد اقترف، أية امرأة في سريره. انه يبدأ ينذر، ويبدأ يرتجف من نعيم مواجهته للحقيقة، ورغم ذلك لا يتوقف. انه يتقدم، شاحبا، صامتا ويبحث كي يتعلم كل شيء... كل شيء. وتعلم وصار أعمى.

أرواحنا تشبه أوديب، لم تلعب خلال العصور أكثر من مأساة سوفوكليس: أوديب الطاغية Oedipus Tyrauus.

البهجة والطمأنينة في البداية - تعمان العالم. انه يعرف شيئا - محظوظ. هكذا كان أوديب في الفصل الأول. شيئا فشيئا من خلال تلميحات قليلة، من كلمات طائشة قليلة أفشت بها المرأة، يبدأ بالشك، بالتنبؤ قليلا، بالتساؤل، بالشعور بالقلق، الروح في الفصل الثاني، في شك وتساؤل وفضول وتردد.

الرجال العظماء، التايريسيونTiresiaus، يكشفون عن وجه الحقيقة. لكن الأرواح ترتجف من الكشف المرعب وتستمر في الشك. ونبحث

مستقصين في كل مكان ونتساءل بنشاط أكبر وننفذ عميقا ونسوق الآمال الخادعة بعيدا، وأخيرا نجد أنفسنا في الفصل الأخير الذي يرينا الحقيقة وتعمى الروح. ليس ثمة بعد الآن من مسرة ومتعة. نحن نعرف ما الذي ينتظرنا. لا شيء بعد القبر. ربما يكون هناك الهاً، ولكن ما نفع ذلك اذا كنا سنموت، ما دامت الجماجم تدفن دون عزاء في الأرض. ليس بعد الآن من مسرة أو راحة. فالضوء الساطع أعمى أرواحنا.

نحن ننحني تحت ثقل حقيقة كل الأجيال الميتة. لقد أبعدونا عن قصور الأمل وركضنا نحو الجزر الأجنبية ولعنا أبولو، وبلا طائل نتلمس الطريق في الظلام كي نجد يد أنتيجون الرقيقة. ربما تكون أنتيجون هي الايمان. ربما تكون أنتيجون هي الحب. ربما تكون هي العلم.

ان تكن هي الايمان، فهي قد ماتت. ان تكن هي الحب، فقد فسدت وامست عاهرة وتقود المسكين الاعمى التعيس الى مواخير وعورات، أو الى مواساة كاذبة، لا وجود لها...

ان تكن أنتيجون هي العلم، والعلم وحده، فهي اذن ليست بالسلوى، ويدها لم تعد رقيقة وحانية. انها يد حديدية وثقيلة لا تعطي سوى العقاقير دون حنان - دون حنان لأنها جبارة. في الأسفل هناك كل الآمال والأفكار قد أبعدت. العلم، ابن العقل الذي لا يرحم، يجر أباه التعيس الى الحزن الذي لا نهاية له والذي تفهمه كل الأرواح حين تدرك أن لا شيء بعد الموت، لا شيء تماما.

كارما نيرفامي

آذار، نيسان، أيار١٩٠٦

مجلة Pinakothiki

الهوامش

المقدمة

١ ـ نال نيكوس كازنتزاكيس شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة أثينا ج ٩ ـ كانون الأول ـ ١٩٠٦ .

٢ ـ تقرير الى غريكو الفصل ـ ١٥ ، أثينا.

٣ ـ كان «ثيريسو» موقعا في الجانب الغربي من كريت حيث كان اليوثيبوس فينيزيلوس ١٨٦٤ ـ ١٩٣٦ عضو المجلس الكريتي والذي أصبح فيما بعد رئيسا للوزراء، أحد كبار الابطال الكريتين، وبالتأكيد لكل اليونانيين، وكان دوره فعالا ليس فقط في توحيد كريت مع جزيرة اليونان الرئيسة، ولكن أيضا في كفاحه من أجل أن تصبح اليونان عضوا بارزا بين أمم العالم. المقارنة التي يلمح اليها غافريليدز هنا بين فينيزيلوس والشاب كازنتزاكيس تثبت تنبؤيتها.

٤ ـ «بسيلوريتيس» أعلى قمة في السلسلة الوسطى للجبال في كريت هي أيضا تعرف باسمها القديم، ايدا.

٥ ـ «كاثاريفوزا» هي اللغة الرسمية اليونانية التي كان الناس في اليونان يتعاملون بها في الدولة والمدارس والمحاكم، وحتى وقت قريب في أكثر الاوساط. كما كان يتشدق بها على الأخص المتعلمون من الطبقة الوسطى والمحافظون والاستقراطيون. ويعود الفضل لانتشار اللغة اليونانية الحديثة ديموستيكيDemostiki الى الشعراء والكتاب والتحرريين الحديثين.

٦ ـ ديموستيك انظر ـ (٥).

٧ ـ في متابعتة النقدية على اعادة ظهورها في أثينا، يصف كيمون فراير «الثعبان والزنبقة» بأنها رواية رائعة عن الانحلال، تستحق أن تأخذ مكانها بين أعمال كتاب القرن الحالي في عموم اوروبا، ذلك لأنها حازت على مميزات تلك المدرسة. وظهرت متابعة فراير في صحيفة الأثيني في أثينا ١ ـ مايس ـ ١٩٧٦ ، اذ كانت «الثعبان والزنبقة» قد أعيد طبعها في اليونان عام ١٩٧٤ .

٨ ـ «مرض العصر».

٩ ـ انظر أيضا تحليل كيمون فراير في مقدمته لـ «الاوديسة»: التتمة الحديثة ، (وردت على أساس الاوديسة بالنص)، و منقذو الرب: تجارب روحية . منذ الآن يكون الاقتباس من تجارب روحية .

١٠ ـ مرض العصر.

١١ ـ قد يود القارىء أيضا أن يقارن لأن الحب قوي كالموت و الغيرة قاسية كالقبر في نشيد سليمان(٨،٦) هنا يستفيد كازنتزاكيس في السباق من صور تلك القصيدة في الكتاب المقدس، ربما يوجد كلمة هنا عن موضوع الحب والموت في كلا العملين، «الواقعين التوأمين» التي يؤكد مارفن هـ. بوب في كتابه نشيد الانشاد على ملازمة كل روح ذات حس. ان مزج الحب والموت معا في «الثعبان والزنبقة» يدعو للمقارنة مع التفسير الحديث للبرفيسور بوب لـ «نشيد الانشاد» (موضحة على نحو تصويري بمشهد حب كئيب على غلاف الكتاب أخذ من التوابيت الحجرية الأتروسكانية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد) الذي يشير الى أن العلاقة المتبادلة بين الحب والموت في قصيدة الحب القديمة هي رسالة خالدة.

١٢ ـ تجارب روحية.

١٣ ـ الجملة الافتتاحية في التمهيد لتجارب روحية.

١٤ ـ التمهيد لتجارب روحية.

١٥ ـ كريت، ١٨آب ١٩٢١ .

١٦ ـ هيلين كازنتزاكيس: «نيكوس كازنتزاكيس»: سيرة مبنية على أساس رسائله .

١٧ - «الندوة» .Symposium

١٨ - «رحيل» .

١٩ - كان كازنتزاكيس مولعا بالاشادة الى الحروف الأربعة والعشرين للألفباء اليونانية كجنود تطوعوا في النضال ضد الزوال. كلمات، كلمات! ليس ثمة من عبودية! لا قوة لدي سوى أربعة وعشرين جنديا صغيرا من الرصاص. سأتأهب للحرب. سأكون جيشا. سأدحر الموت . (رحيل، التمهيد).

٢٠ - ان الذي أبعد كازنتزاكيس عن القدر الاغترابي الفضولي المتقولب الذي أصاب أغلب المثقفين اليوم هي جذوره العميقة جدا في الفكر والفن الاغريقي الكلاسيكي والبيزنطي. كان بامكانه بالتأكيد استيعاب الجديد بثقة ومسؤولية أكثر بسبب تجذره الغريزي في القديم. ان الحس الانساني الموروث لديه، بالاضافة الى فعاليته الفنية، قد حمته من الفظاظة واللاهدفية التي تميل اليها الايديولوجيا الحديثة... جورج أتاستابلو، الانسان والمواطن: مقالة عن الفضيلة والحرية وعمل الخير (شيكاغو مطبعة سوالو، ١٩٧٥).

٢١ - انظر تقرير الى غريكو الفصل ٣١، النظرة الكريتية.

٢٢ - الاوديسة: التتمة الحديثة.

٢٣ - بنديليس بريفيلاكيس، «نيكوس كازنتزاكيس وأوديسته: دراسة عن الشاعر والقصيدة». كان بريفيلاكيس طالبا شابا حين التقى بكازنتزاكيس عام ١٩٢٦، ومنذ ذاك نمت الصداقة بينهما على أساس التقدير والاعجاب المتبادل، اللذين استمرا حتى النهاية.

٢٤ - انا مدين لـ «أويل بلوك» في هذه الملاحظات في دراستها «الاقنعة المزدوجة لكازنتزاكيس» التي ظهرت في مجلة الأدب الحديث المجلد الثاني ١٩٧١ - ١٩٧٢ . ومن الجدير بالملاحظة أن أغلب ان لم تكن كل هروبات كازنتزاكيس الى الدير التي حدثت في الفترة المبكرة من حياته، خلال السنوات (١٩١٤ - ١٩٢٤) قد جاءت من أثر صعوبات داخلية. فأسفاره المتكررة واعتزالاته الصوفية غالبا ما تدعم بالحاجة للهروب، بالاضافة الى حاجته للعزلة في الدير التي تسمح له بالكتابة بطمأنينة.

٢٥ - انظر - التمهيد لـ «تقرير الى غريكو» . في اعترافه لجده بتقييد مميز للمسائل الشخصية،

يرفع الحجاب لما يكفي أن يسمح للقارىء كي يلمح على عجل تقييمه الخاص للنساء اللائي عرفهن: النساء اللائي أحببتهن. كنت محظوظا وواتتني الفرصة لأن ألتقي بنساء غير عاديات في حياتي. لم يعمل لي أي انسان خيراً، أو أعانني في نضالي بعظمة كأولاء النساء ـ وفوقهن جميعا ـ المرأة الأخيرة. ولكن فوق ذلك الجسد المتيم بالحب أرمي الغطاء الذي رموه أبناء نوح فوق الأب المخمور. أحب أساطير أسلافنا عن ايروس و سايكPsyche ... انه لمن المخزي وكذلك من الخطر ان تشكل مصباحا، لتبدد الظلام وترى جسدين منطبقين في عناق. أنت عرفت هذا، أنت الذي أخفيت زوجتك الحبيبة جيرونيما. رفيق جسور ومفتول، ينبوع بارد في عزلتنا اللابشرية، نشوة هائلة!... الفقر والعري هما لا شيء، ان كانت لك زوجة رائعة. لنا زوجتان رائعتان زوجتك اسمها جيرونيما وزوجتي اسمها هيلين. كم من المرات لم نقل لأنفسنا ونحن ننظر اليهما، مبارك هو اليوم الذي كنا قد ولدنا فيه! ولكننا لم نسمح للنساء، حتى الأشد قربا، لأن يقدننا للضلال. لم نتبع طريقهن المكسو بالزهور بل أخذناهن معنا. لا لم نأخذهن، بل اتبع اولاء الرفيقات الباسلات روائحنا من أنفسهن الحرة . (أل غريكو، الكريتي الولادة، دوميتيكوس ثيوتوكوبولوس، كان قد ولد في فودهيل على مسافة قريبة من مولد نيكوس كازنتزاكيس، ايراكليون في عام ١٥٤٨(؟) رأى فيه نيكوس كازنتزاكيس روحا قريبة منه وتبناه على أنه جده .

٢٦ ـ هيلين كازنتزاكيس، «نيكوس كازنتزاكيس» .

٢٧ ـ في نيكو موروس فوكاس.

٢٨ ـ في المسيح.

٢٩ ـ في الاوديسة.

٣٠ ـ يعزو كازنتزاكيس ازدواج رؤياه الى جذره السلفي المزدوج. فهو يقول أن تيارين من الدم يجريان في أوردته، بدوي من أبيه، ويوناني من أمه. ونسبه البدوي جاءه من أسلافه الذين قطنوا قرية باري باري بالقرب من ايراكليون، وهم العرب الذين استقروا هناك في حوالي القرن الحادي عشر حين اقتحم الامبراطور البيزنطي نيكفوروس فوكاس كريت وحرر الجزيرة من الفاتحين العرب. وتعود أمه الى الأصل الفلاحي اليوناني «الذي كان يكمن بقاؤه ومتعته في الأرض ذاتها» . كلا الوالدين، يقول كازنتزاكيس، كانا يتمثلان بوضوح في يديه فيده اليمنى قوية، ذكورية وتخلو تماما من الحس، واليسرى

عاطفية بافراط وعلى نحو مرضي. (تقرير الى غريكو . الفصل ـ ٤ ، الابن).

٣١ ـ و.ب.ستانفورد، موضوع يوليسيس. (نيويورك: بارنز ونوبل، ١٩٦٨).

٣٢ ـ «تقرير الى غريكو» ـ الفصل،١٦ العودة الى كريت.

٣٣ ـ «زوربا اليوناني» أولى الروايات الكبيرة التي بدأت في المرحلة الثالثة.

٣٤ ـ «تقرير الى غريكو» . الفصل ٣١ النظرة الكريتية.

الثعبان والزنبقة

١ ـ كيراميخوس: هي موقع أهم مقبرة أثينية قديمة، تحد جدران المدينة ليس بعيداً عن أكروبوليس، جعلت كنقطة انطلاق للمواكب التي كانت جزءاً من الاحتفالات السنوية التي تقام على شرف الالاهة أثينا.

٢ ـ البوابتان(ديبيلون) يمر من خلالها الموكب الباثيني، والبوابة المقدسة يمر منها العابدون لـ«ايليوسس و دايونيسس »، وهي تقع في مقاطعة كيراميخوس «البوابة الأخيرة تنفتح على الطريق المقدس الذي يقود الى ايلوسس» والأولى(ديبيلون) هي البوابة الرئيسية للمدينة المستقبلة للكثرة الكاثرة من المارة الذاهبين والآتين من والى بيرايوس و بويوتيا . وتقع مقبرة كيراميخوس خارج البوابة ديلون وتتسع على كلا الجهتين للطريقين الرئيسيين المتلاقيين. كانت المقابر موجودة في هذه المقاطعة منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وكان سور المدينة الذي شيد في القرن السابع قبل الميلاد قد فصل المقاطعة الى اثنين، مكونة كيراميخوس الداخلي وكيراميخوس الخارجي والأول أصبح الموقع الذي استقر فيه أصحاب الخزف والحدادون، وذلك قد يوحي أن الخزافين هم الذين أطلقوا اسم كيراميخوس. ويحيل بوزانيوس اسم المقاطعة الى اسم البطل كيراموس، الابن المفترض لـ «ديوانيسس» و «آريادن» . المنطقة الواقعة بين البوابة المقدسة وديبيلون، بالاضافة الى استخدامها كنقطة انطلاق للمواكب الطقسية الكبيرة، كانت أيضاً موقعاً لـ«بومبيون» المكان الذي كانت تودع فيه العربات وكل لوازم الاحتفالات الكبيرة.

٣ ـ الـ «أكروبوليس» تل صخري في أثينا خصص لحماية المدينة الالاهة أثينا بارثينوس ليقف

عليه معبدها، غالباً ما يدعى بالصخرة المقدسة.

٤ ـ «نايك» ، هي الاهة ثانوية تمثل الانتصار في الميثولوجيا الاغريقية، وتمثال أثينا الذي يحتل قلب بارثينون يحمل تمثالا صغيراً لـ «نايك» ،الاهة الانتصار المجنحة في يدها اليمنى.

التمثال الكبير للالاهة العذراء بارثينوس التي تستحضرها هنا بطلة كازنتزاكيس المعشوقة هنا في هذه القصة، تقف على ارتفاع ١٩ قدماً على قاعدتها ضمن الحرم المقدس. عند أقدام الالاهة ثمة ترس مرسومة عليه المعركة التي دارت بين الاثينيين والأمزنيين، وعند قاعدة ترسها أفعى. الوجه واليدان والقدمان كانت من العاج وبؤبؤا العينين من الأحجار الثمينة. الثوب والحلي من الذهب وجميعها يحتمل أن تكون قد صممت من قبل فيدياس كي تتوهج في نوع من الرهبة الغامضة في المدخل الظليل للمعبد، الذي لا يدخله الضوء الا من الباب.

٥ ـ ميتوبس Metopes الواجهات في الجانب الجنوبي من بارثينون التي تصور معركة اللابيثيين والقنطورات. وطبقا للأسطورة، القنطورات في الميثولوجيا الاغريقية هي نصف بشر ونصف حصان، دعيت القنطورات من قبل ملك لابيث، بيريثوس، بحضور حفلة زواج ابنته. وفي الحفل تجرأ القنطورات بتأثير من الخمر وأهانوا مضيفيهم باستئثارهم بالاهتمام على حساب العريس والضيوف، ذلك ما دعا الى اندلاع المعركة في الاحتفال بين اللابيثيين والقنطورات، وهو مشهد معركة غالباً ما يتصور في الفن الاغريقي كمثال على التضاد بين الحضارة والبربرية.

٦ ـ فيدياس: هو النحات الأثيني الشهير بأعماله النحتية في بارثينون.

٧ ـ الفتيات الاثينيات للأرستقراطيين، ويدعين كانيفوري(حاملات السلال)، كنّ جزءاً من المواكب الاحتفالية السنوية التي تقدم القربان الى الإلاهة حامية المدينة. وكان الـ«البروبيلايا» هو الرواق المؤدي الى النصب، أعلى أكروبوليس، حيث يجتزنه في طريقهن الى الضريح. وكان ذلك يقام في شهر آب، في اليوم الذي ولدت فيه أثينا .(في اليونان اليوم يقدم الولاء السنوي في١٥آب الى مريم العذراء، حامية الوفاء المسيحي. هذا اليوم المقدس يحتفل بذكرى رفع مريم العذراء الى السماء بعد موتها وهو أحد أهم الأعياد عند الكنيسة الارثوذكسية اليونانية). كان الاحتفال الذي يقام على شرف أثينا يقام على شكل موكب بهي كبير كل أربع سنوات. ويسمى هذا الاحتفال الخاص، باناثينيا، وينتهي بعد أربعة أيام، وهو في الأساس حادثة يعرض فيها الاثينيون

ولائهم وهداياهم وأهمها ال Peplos المزخرف الهدية الشعائرية التي حيكت لتزين (Xoanon) الخشبي، التمثال البدائي لأثينا بولياس التي سكنت أريكثيوم. حملت هذه الـ Peplos في حالة اهتياج في موكب، كما مصور في الأفاريز الآيونية خارج بارثينون، متكون من وجهاء المدينة الذين تجمعوا عند كيراميخوس وشرعوا في احتفال كبير من بومبين ، مخترقين شوارع أثينا باتجاه أكروبوليس. وكانت تقود الموكب عربة على هيئة سفينة، فوقها البيبلوس Peplos على أنه شراع ينتشر فوقها. يتبع العربة السفينة السيدات العاليات الشأن(ايرغاستيناي) اللواتي عملن البيبلوس، ثم الكانيفوري الفتيات اللواتي يحملن الأشياء المقدسة للعيد. وبعدهن تأتي شخصيات أخرى قائدة، يتبعهن المضحكون مع حيواناتهم. وفي نهاية الموكب تأتي كتائب الجيش الهائلة العدد. تتوقف العربة السفينة عند قدم أكروبوليس لأن الانحدار هناك شديد، ويستمر الموكب في الصعود نحو القمة على الأقدام. رغم أن الموكب العظيم هو الحدث الأهم، الا أن الاحتفالات تتضمن أيضاً منافسات في الفنون والألعاب الرياضية. والفائزون يهدون زيت الزيتون المنتج من أشجار الزيتون الذي باركته الآلهة في أواني خاصة بالفائزين تسمى باناثينايك أمغورا .

٨ ـ سالاميس: هي جزيرة صغيرة هلالية الشكل تقع على مسافة من شاطيء «اتيكا» في الخليج «سارون» الذي كان ميداناً لاحدى المعارك الخادعة في العالم، وهي معركة «سالاميس» في(٢٢أيلول٤٨٠ قبل الميلاد). هنا حطمت السفن الاغريقية الصغيرة الاسطول الفارسي الكبير تحت مرأى « Xerxes أكسركيس» نفسه الذي وضع عرشاً فضياً على صخرة شاهقة على ايغاليوس ناظراً الى سالاميس مراقباً المعركة. منذ ذاك أصبحت سالاميس رمزاً لانتصار اليونانيين الذين قلبوا في هذه المعركة مد الخطة الفارسية في الغزو.

٩ ـ هيبي: في الميثولوجيا اليونانية هي حاملة ـ قدح الحب لآلهة الاولمب حيث تعيش معهم في قمة جبل الأولمب في ثيسلي. ولأنها الهة الشباب، فقد خمدت في قصر زيوس الكبير حيث تناول الآلهة العشاء الالهي والرحيق الالهي الذي تقدمه الشابة حاملة ـ الكأس للآلهة.

١٠ ـ يغني كورس سوفوكليس عن أزهار كولونوز في «أوديب كولونيوس» . انه الموضع المرتفع القريب من كيراميخوس الذي وجد فيه أوديب المأوى.

١١ ـ الجبل المتاخم لهميتوس الممتد على طول الجنوب الشرقي لسهل آتيك مشهور بالعسل

والرخام،

١٢ ـ الكارياتايدز، ست فتيات يقفن عند الأعمدة الساندة المعروفة للرواق الجنوبي لأريكثيوم على الأكروبوليس.

١٣ ـ في ترجمة هذا الاستشهاد تستفيد مترجمة اللغة الانكليزية من تفسير الملك جيمس لأغنية سليمان.

١٤ ـ أفروديت السينيدية، سميت بعد مدينة «دوريان» القديمة التي وجدت في العصر الحجري في آسيا الصغرى وهي التمثال الاحتفالي الذي نحته. قد سبب جلبة في يومه بسبب الطريقة غير الارثوذكسية التي صور فيها. فأسلوب نحته ابتعد كلياً عن الصرامة الهائلة التي، حتى ذلك الوقت، كانت تميز تماثيل الآلهة وصيغ بطريقة حسية حرة، والاعتراض الأساس على العري التام للالاهة ومظهر الرخام الذي يشبه الجسد البشري بشكل ملموس. بينما كان الاغريق معتادين على العري في النساء المومسات، فهم يرفضون رؤية مثل هذه الحرية في تصوير الآلهة. وبالرغم مما يبدو من عدم التوقير، فان أفروديت السينيدية قد أصبحت التمثال التقليدي بالنسبة لكل العوالم الرومانية والهيلينية.

١٥ ـ فرين، محبوبة براكسيتلز واحدى أشهر المحظيات في اليونان القديمة، وأشيع أنهاكانت الموديل الذي نحت براكسيتلز تمثال أفروديت السينيدية على غراره. وثمة قصة عنها أنها وقفت مرة أمام محكمة في أثينا بتهمة عدم التقوى. وفي دفاعه عنها أمام القضاة، هكذا تستمر الأسطورة،اعتمد هيبرديس على جمالها الخارق وربح القضية. اذ عرضها أمام متهميها وأشاح ثوبها عن جسدها متشفعاً بتقييمهم الجمالي ـ وأسقط عنها الاتهامات.

١٦ ـ اشارة من الكاتب المقدس الى الجبل الذي يعتقد أن «القانون» قد أعطي الى مومس فيه.

١٧ ـ تصور صورة كازنتزاكيس هنا افروديت الأولى السحيقة القدم، أستارت الفينيقية، آلهة الجمال والجنس. في المعتقدات السامية القديمة كان يعتقد أن هذه الآلهة تمنح القدرات التناسلية التي تجمع كل المخلوقات من البشر والطيور والدواب، في فعل يخلق الحب.

١٨ ـ كانت أفروديت تعبد في اليونان على منحنيين. أفروديت أورانوس، الآلهة السماوية

الطاهرة للحب العفيف النقي، وأفروديت باندوميس، الآلهة الأرضية للشهوة الحسية.

١٩ ـ الاشارة المتعددة المستويات لـ «غالاتي» هنا، مع رمزيتها المتحولة، تشير الى أسطورة بيجماليون.

٢٠ ـ في الميثولوجيا اليونانية «اورانوس» هو السماء، وزوج «غايا» الأرض، وأب العديد من الأطفال، آخرهم كرنوس الذي أخصى والده أورانوس بمنجل وذلك ما أنهى عهده.

٢١ ـ القيثارة الايولينية كانت آلة موسيقية قديمة مرخاة الأوتار كي تعطي صوتا يشبه صوت الرياح، وأخذت اسمها من أيوس راعي الرياح.

٢٢ ـ الموت المهلك لـ «لاكون» قد جسد في مجموعة تماثيل روداين في القرن الأول قبل الميلاد وهي الآن في متحف الفاتيكان. وهي تصور لاكون وهو يحاول انقاذ ولديه بينما ثلاثتهما في قبضة اثنان من الأفاعي، وذلك عقابا له من أثينا لانذاره الطروادبين بأن لا يخدعوا بالحصان الخشبي الاغريقي.

٢٤ ـ شونامايت، ويشار اليها أيضا بـ سولامايت في نشيد الانشاد هي الفتاة الجميلة من شونيم أو قبل ذلك (شولا) في فلسطين التي أصبحت حبيبة سليمان.

مرض العصر

١ ـ هذه القطعة الرمزية التي تبين سقراط وهو يتحرك بسرور من العالم المادي الى الميتافيزيقي، من الملعب الرياضي الى الاكاديمي، الى الجبل الشاهق، ايدا (وهو المكان الذي ولج فيه زيوس، والرمز المقدس للروح)، من المفترض أنها أخذت من حواريات أفلاطون «القوانين» الذي فيه يتحاور الكريتي و الاسبارطي والاثيني (ممثلا بسقراط) بشأن «القوانين»، بينما يتمشون من كنوسوز الى مكان الرب.

٢ ـ تشير مصادر عديدة لـ «الهيتاريا» ، المومسات الاغريقيات، من قبل هيرودتس وأثيناوس. ويصف أكسنوفون سقراط وصفا ممتعا في محادثة مع المومس الشهيرة ثيودوتا . أولائي المومسات كن معروفات بالفطنة، مهذبات، يسعدن الرجال بذكائهن وأجسادهن. والكثير منهن ماهرات في العزف الموسيقي والرقص الذي يقام أثناء المآدب. ينحدر

اغلبهن من طبقة العبيد أو من الطبقة الأدنى في المجتمع. غير أن البعض منهن مثل فرين و رودوبيس قد نلن مجدا خالدا في التماثيل الرخامية والحجر.والبعض من النادرات تزوجن زيجات باهرة مثال ذلك أسباسيا السيدة التي احتفت بـ «بيركليس» وأصبحت زوجته. وفعل العهر لخدمة الدين (من قبل قديسات منذورات)، وكوسيلة للعيش أيضا، كان تقليدا في اليونان القديمة، مثلما كان في الكثير من البلدان القديمة.

٣ ـ ال بالاسترا كانت الميدان الرياضي لليونانيين القدماء، وأخذ الاسم من (Pale) أو المصارعة، والتي كانت واحدة من خمس ألعاب مطلوبة في المباريات الخماسية.

٤ ـ جون بسيهاريس (١٨٥٤ ـ ١٩٢٩) كان كاتبا يونانيا دعا في مناقشات قامت في ثمانينات القرن الماضي الى التخلي عن اللغة الكلاسيكية المصطنعة للنخبة من الاثينيين المعروفة بالنقية أو Katharevousa وأيد تبني الديموتيك Demotiki لغة عامة الناس. كما ساعد على بناء الشكل المستقبلي للشعر اليوناني الحديث.

الفهرس

المقدمة ٥

الثعبان والزنبقة ٢٣

مرض العصر ٧٣

الهوامش ٨٥

آه عودي «غالاتي» الى الجمال الرخامي للموت قبل أن تغمرك الموجة تماما، قبل أن تدنس التجاعيد جبينك الجميل. أعرف دواء يشفي كل ألم. أعرف ماء خالدا يشبع ظمأ كل من يشربه. آه حبيبتي. انحني من أساسك الرخامي وتعالي دعيني أسممك بشفتي، دعيني أقطر الرغبة العظيمة فيك قطرة قطرة. العزاء العظيم والحنين العظيم لـ"نيرفانا" حيث الجميل أبدي والنوم عذبا ورابضا وشهوانية الليل لا تتسم بمرارة الفجر.

نيكوس كازنتزاكيس

2

دار الكنوز الادبية